دكتور

محمد بدر معبدي

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

جامعة الأزهر - فرع البنات

الشعراء العرب الشجعان في الجاهلية

المطبعة التجارية الحديثة

٢٢ شارع ادريس راغب — الظاهر

تليفون ٩٠٣٣٦٤ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

شجع بالضم شجاعة : اشتد عند البأس ، والشجاعة : شدة القلب فى البأس ، ورجل شجاع وشجاع وشجاع مثلث الشين ، وأشجع وشجع وشجيع وشجعة على مثال عنبة هذه عن ابن الاعرابى وهى طريفة،من قوم شجاع وشجعان وشجعان (الأخيرة عن للحيانى) وشجعاء وشجعة وشجعة وشجعه ، الأربع اسم للجمع قال طريف بن مالك العنزى :

حولى فوارس من أسيد شجيعة
وإذا غضبت فحول بيتى خضم

وامرأة شجعة وشجيعة وشجاعة وشجعاء من نسوة شجائع وشجع وشجاع والجميع عن اللحيانى ، ونسوة شجاعات والشجعة من النساء الجريئة على الرجال فى كلامها وسلاطتها .

وقال أبو زيد سمعت الكلابيين يقولون رجل شجاع ، ولا توصف به المرأة ، والأشجع من الرجال مثل الشجاع ، ويقال للذى فيه خفة كالهوج لقوته ، ويسمى به الأسد ويقال للأسد أشجع وللبؤة شجعاء وأنشد للعجاج :

فولدت فراس أسد أشجعا

يعنى أم تميم ولدته أسدا من الأسود .

وتشجع الرجل : أظهر ذلك من نفسه وتكلفه وليس به ، وشجعه : جعله شجاعا أو قوى قلبه ، والمشجوع المغلوب بالشجاعة ، والأشجع من الرجال الذى كأن به جنونا وقيل الأشجع : المجنون قال الأعشى :

بأشجع أخاذ على الدهر حكمه
فمن أى ما تأتى الحوادث أبرق

وقد فسر قوله بأشجع أخاذ قال يصف الدهر ويقال عنى بالأشجع

نفسه ولا يصح ان يراد بالأشجع الدهر لقوله أخاذ على الدهر حكمه قال الأزهرى قال الليث وقد قيل ان الأشجع من الرجال الذى كان به جنونا قال وهذا خطأ ولو كان كذلك ما مدح به الشعراء ، وبه شجع أى جنون والشجع من الأبل الذى يعتريه جنون وقيل هو السريع نقل القوائم وقال الأصمعى هو المضاء والجرأة ، والشجع أيضا الطول ورجل أشجع : طويل وامرأة شجعاء ، الشجعة : الرجل الطويل المضطرب ، والشجعة : الزمن وفى المثل أعمى يقود شجعة ، ورجل شجعة : طويل ملتف ، وشـجعة : جبان ضعيف ، والشجعه الفصيل تضعه أمه كالمخبل ، والأشجع فى اليد والرجل : العصب الممدود فوق السلامى من بين الرسغ الى أصول الأصابع التى يقال لها أطناب الأصابع فوق ظهر الكف وقيل هو العظم الذى يصل الأصبع بالرسغ لكل اصبع أشجع ، وفى صفة أبى بكر رضى الله عنه ، انه عارى الأشاجع ، وهى مفاصل الأصابع واحدها أشجع،ويقال للحية أشجع قـال الشاعر : ـ فقضى عليه الأشجع

وأشـــجع ضرب من الحيـات وتزعم العـرب أن الرجـــل اذا طال جوعه تعرضت له فى بطنه حية يسمونها الشـجاع ، والشجاع والصفر وقال أبو خراش الهذلى :

أرد شـــجاع البطـن لو تعلمينـه

وأوثر غـيرى من عيـــالك بالطعم

وقال الأزهرى قال الأصمعى شجاع البطن وشجاعه : شدة الجوع وفى الحديث انه ﷺ قال يجىء كنز أحدهم يوم القيامة شـجاعا أقرع وأنشد الأحمر :

قد سـالم الحيـات منه القـدما

الأفعوان والشـــجاع الشـــجعما

(الشجعم : الضخم)

وبنو شجع : بطن من عذرة ، وشجع : قبيلة من كنانة ، وقيل ان فى كلب بطنا يقال لهم بنـو شجع قال أبو خراش(*):

(*) لسان العرب مادة شجع وتاج العروس مادة شجع ايضا .

غـــداة دعــا بنى شـــجع وولى
يؤم الخطم لا يدعـــو مجيبـــا

وفى الأزد بنو شجاعة ، وأشـــجع قبيلة من غطفان ، وأشـــجع فى قيس .

وقد ضرب العرب أمثلة فريدة فى الشجاعة والاقدام ، والتضحية والايثار ، وحماية الجار ، واجارة المستجير ، ولا يتسع هذا البحث لذكر كل الشجعان والفوارس وكما قال الأصوليون ما لا يذكر كله لا يترك كله ، فقمت بعقد فصول ثلاثة عن الشـــعراء العرب الشجعان فى الجاهليـــة وهى كما يلى :

الفصل الأول :

الشعراء الشجعان فى الجاهلية

الفصل الثانى

الشعراء الشجعان من الصعاليك والعبيد

الفصل الثالث

الشعراء الشجعان من الكرماء والأشراف

واعتمدت فى ذلك على المراجع والمصادر الهامة مثل كتاب الأغانى وكتب الحماســـة والأمالى لأبى على القالى ، والعقد الفريد والشـــعر والشعراء وخزانة الأدب وغير ذلك من أمهات الكتب التى يعتمد عليها فى هذا المقام .

وأملى أن أكون قد وفقت الى التعريف بهؤلاء الشعراء الشجعان لنسير على هداهم ونقتدى بهم فى هذا الميدان ميدان الجرأة والشجاعة والاقدام والتضحية بالمال والنفس .

والجـــود بالنفس أقصى غـــاية الجـــود

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

والله من وراء القصد

الدكتور محمـــد بـــدر

الفصل الأول

تعريف بالشعراء الشجعان في الجاهلية

اشتهر العرب بالشـجاعة والاقدام ، والبطولة والفروسـية وهى صفات غريزية ، وسجايا طبعية ، وقوة للنفس معنوية ، لا تدرك الا بآثارها وغاياتها ، ولا تعلم الا بمقتضياتها وعلاماتها ، وهى الاقدام فى مواضـع الاحجام • وعدم المبالاة بالحياة ولا بالممات ، وكلما كانت هذه الآثار أعظم كان مبدؤها أقوى وأتم ، والعرب لم تزل رماحهم مع العدو متشابكة ، وأعمـارهم فى الحروب متهالكة ، وسـيوفهم دائمـا مشهرة ، وأبطالهم الى ميادين الوغى سائرة ، قد رغبوا عن الحياة اذا كانت ذليلة ، وصدفوا عن طيب اللذات اذا كانت سـبباً فى النيل من كرامتهم ، والغض من شأنهم فهم كما قال قائلهم :

قوم اذا نزل الغريب بدارهـم	تركـوه رب صـواهل وبيـان
واذا دعوتهـم ليوم كريهـــة	سدوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الأرض عند سـؤالهم	لتطلب العـــلات •• بالعيـدان
بل يسـفرون وجوههم فترى لها	عند السـؤال كأحسن — الألوان

وهم قوم نذروا أنفسـهم للموت حفـاظاً على الكـرامة ، وذودا عن الحياض اذ كانوا يتمادحون بالموت فى سبيل الغاية ويتهاجون بالموت على الفراش ، ويجعلونه مذلة ومسبة وعاراً وشناراً ، ويقولون فيه مات فلان حتف أنفه ويشيدون بمن يقتل تحت ظلال السيوف وبين أسـنة الرماح يقول بعضهم وقد بلغه موت أخيه : ان يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه ، انا والله لا نموت حتف أنفسنا ولكن قطعاً بأسـنة الرماح وموتاً تحت ظلال السيوف :

يقول السموءل فى ذلك :

وما مات منا سـيد حتف أنفـه	ولا طـل منا حيث كان قتيـل
تسـيل على حد الظباة نفوسـنا	وليس على غير الظباة تسـيل

وقال آخر :

وانا لتسـتحلى المنايا نفوسـنا	ونترك أخـرى مرها فنذوقهـا

ويقول أيضاً :

وسـائلة بالغيب عنى ولو درت ... ملازمتى الأبطـال طال نحيبها
اذا ما التقينـا كنت أول فارس ... يجـود بنفس أثقلتهـا ذنوبهـا

وقال الحصين بن الحمام :

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حيـاة مثـل أن أتقدما

وقال عمرو بن الاطنابة :

أبت لى شـميتى وأبى بلائى ... وأخذى الحمـد بالثمن الربيح
واقدامى على المكـروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشـيح[١]
وقولى كلما جشـأت وجاشـت ... مكانك تحمدى أو تسـتريحى[٢]
لأدفع عن مـآثر صـالحات ... وأحيا بعد عن عرض صـحيح

ونظير هذا قول قطرى بن الفجاءة :

وقولى كلمـا جشـأت لنفسى ... من الأبطـال ويحك لا تراعى[٣]
فانك لو سـألت حيـاة يوم ... سوى الأجل الذى لك لم تطاعى

وقال عنترة وهو مما يشجع الجبان :

بكـرت تخوفنى الحتـوف كأننى
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل[٤]

فأجبتهـا ان المنيـة منهـل
لابـد أن أسـقى بكأس المنهـل[٥]

فاقنى حيـاءك لا أبـالك واعلمى
انى امرؤ سـأموت ان لم أقتـل[٦]

---

(١) البطل المشيح : اى المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره .
(٢) جشأت : ارتفعت ، وجاشت : غثت من الغثيان .
(٣) لا تراعى : لا تفزعى .
(٤) الحتوف : مصدر بمعنى الحتف وهو الموت ، وهو جمع حتف .
(٥) المنهل : المورد .
(٦) قنى الحياة : لزمه وحفظه كاقنى واقتنى .. الخ .

وقد خص العرب من الشجاعة فى حروبهم ، والنجدة فى مصابرة عدوهم ، ما شهدت به تواريخ الأمم واعترفت به ألسن العرب والعجم ، ومن راجع الكتب المؤلفة فى أيامهم ، وسيرهم فى سالف أعوامهم ، تبين لديه أنهم لم يشهدوا حرباً فى فزاع ، الا صابروا حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهم فى موقفهم هذا لم يزولوا عنه هربا ، ولا حازوا فيه رغبا ، بل ثبتوا بقلب آمن وجأش ساكن ، وقد قيل لعنترة كم كنتم يوم الفروق[7] . قال كنا مائة كالذهب لم نكثر فننكل[8] ، ولم نقل فنذل ، وحيث كان العرب لا تقدم شيئا على العز وصيانة العرض ومحاماة الحريم وقد هانت عليهم نفوسهم دون ذلك ، وقد اختار الغالب منهم سكنى البوادى على الحضر لما كان فقد العز فيه ، والجبن انما ينشأ من حب رغد العيش وطيب الحياة ، وعدم المبالاة بما يزرى بعلو الحسب وأين ذلك منهم ؟ وبهذا نعلم ما كانوا عليه من الشجاعة والاقدام على المهالك وقد صور العرب لنا المثل الأعلى للفتى العربى المحارب فوصفوه بأنه حديد الفؤاد ، ضامر الجسم ، أخمص البطن ، لم ترهل جسمه الحياة الوادعة الهنية المطمئنة ، كما وصفوه بأنه يقظ متوثب لا ينا م، فهو ليس شخصا ثقيل الجسم لا يعرف الكسل ، اذ نومه خفيف يزول لأقل حركة ، حتى لو رميت بجانبه حصاة لسمع لها وقعا كوقوع الهدة العظيمة فيثب وثوب الطير ، ثم اذا هب من نومه هب مستويا فى غير كسل ولا التواء ، واذا دفعته الى معركة الجهاد خاض غمارها واندفع فيها اندفاع الصقر على فريسته ثم هو لا يعبأ بمكاره الحرب ولا بويلاتها وغمراتها فهو فى أحلك الأوقات، وأشد الأزمات منبسط أسارير الوجه، يلمع جبينه كما يلمع البرق ، ولا يستطيع أن ينال منه نائل وهو ينال كل من أراده ، فاذا عزم لا يصده صاد عن عزمه ، وكان كالسيف القاطع ، وهو درع فى الحرب لصحبه ومن يقاتلون معه ، وموئل فى السلم لذوى الفاقة والحاجة[9] ويصور شاعرهم هذه المعانى العظيمة قائلا[10] :

---

(٧) يوم من ايام العرب .
(٨) نجبن ونتأخر .
(٩) فيض الخاطر : للدكتور احمد امين الجزء الثامن .
(١٠) للشاعر لأبى كبير الهزلى .

وأتت به حـوش الفؤاد مبطنـــا

ســـهداً اذا ما نام ليـل الهوجـل

فاذا نبـذت له الحصـــاة رأيتـه

ينزو لوقعتها طمـــور الأخيـــل

واذا يهب من المنـــام رأيتـــه

كـوثوب كعب الســـاق ليس بزمـــل

واذا رميت به الفجـــاج رأيتـــه

يهـوى مخـارمها هـوى الأجـدل

واذا نظـــرت الى أسرة وجهــــه

برقت كبرق العـــارض المتهـــلل

صــــعب الكريهة لا يرام جنـــابه

ماضى العزيمة كالحســام المفصـل

وهذا شعرهم ينطق بما كانوا عليه من رسوخ القدم فى هذا الميدان ، وعلو الهمة فى هذا البـــاب فمن ذلك قول حيان بن ربيعـــة الطـائى وهو أحد الشجعان المشهورين يفخر بقومه :

لقد علم القبـــائل من معـــد ... ذوو جـد اذا لبس الحديد[١١]

وانا نعم احلاس القـــوافى ... اذا استعر التنافر والنشـيد[١٢]

وانا نضرب الملحـــــاء حتى ... تولى والسـيوف لنا شهود[١٣]

وقال حريث بن عناب النبهانى :

تعالوا أفاخـركم أأعيا وفقعس ... الى المجد أدنى أم عشيرة حاتم[١٤]

الى حكم من قيس عيلان فيصل ... وآخـر من حيى ربيعة عالم[١٥]

ضربنـاكم حتى اذا قام ميلكـم ... ضربنا العداعنكم ببيض صوارم[١٦]

(١١) الحديد : الدروع .

(١٢) يقال فلان حلس كذا اذا كان ملازما له يقول اننـا أصـحاب القواف والتناشد .

(١٣) الملحاة : الكتيبة العظيمة .

(١٤) بنو اعيـاء احـد بنى اسد ، وفقعس حى من بنى اسد يقول تعالوا أأعياء وفقعس اقرب الى المجد ام عشيرة حاتم .

(١٥) يقصد بالحيين : هرم بن قرطبة ودغفلا النسابة .

(١٦) بيض صوارم : سيوف قواطع .

فحلوا بأكتافى وأكتـــاف معشرى　　أكن حرزكم فى المأقط المتلاحم[١٧]
فقد كان أوصانى أبى أن أضيفكم　　الى وأنهى عنكم كل ظـــالم[١٨]

بعض من ضرب بشجاعته المثل من عرب الجاهلية

ان العرب كانوا فى الشجاعة من المنزلة التى لا تطاول وقد قامت الدلائل الواضحة والبراهين الجلية على ذلك فاستحق كل منهم أن يضرب به المثل ويتنوه بشأنه فى القول والعمل ومن هؤلاء خالد بن جعفر بن كلاب العامرى ومن حديثه أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جذيمة الا ربا يستعبدها ويتحكم فى أموالها وهوازن يومئذ « أذل من يد فى رحم »[١٩] وهم رعاء الشـــاء فى الجبال ، وكان زهير يعشرهم (يأخذ عشر أموالهم) فاذا نصبت سوق عكـــاظ أتاها زهير فتـــأتى هوازن بالاتاوة[٢٠] التى فى أغنامهم فيأتونه بالسمن والأقط[٢١] والغنم ، فجاءت عجوز فى سمن فى نحى[٢٢] واعتذرت اليه وشـــكت الســـنين التى تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدفعها بقوس كانت فى يده فســـقطت فبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن وحقدته الى ما كان فى صـــدرها من الغيظ ، فآلى خالد بن جعفر وقال والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو أقتل وفى ذلك قال :

أريغـــونى اراغتكـــــم فانى　　وحذفة كالشجا تحت الوريد[٢٣]
مقـــربة أواســــــيها بنفسى　　والحقهـــا فى ردائى فى الجـــليد
لعـــــل الله يقـــدرنى عليهـــا　　جهـــارا من زهـــير أو أســـــيد

---

(١٧) المأقط المتلاحم : المضيق فى الحرب .
(١٨) اضيفكم : اى اضمكم .
(١٩) كناية عن الذل والضعف وقيل المعنى ان صاحبها يتوقى ان يصيب شيئا .
(٢٠) الخراج :
(٢١) الاقط : يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل .
(٢٢) سقاء السمن .
(٢٣) اريغونى اراغتكم : اى اطلبونى طلبتكم وفى رواية اللسان فمن يك سائلا عنى فانى الخ وحذفة : فرس خالد بن جعفر ، والوريد او حبل الوريد عرق تزعم العرب انه من الوتين وهمـــا وريدان مكتنفان صفحتى العنق ، والجليد : الضريب والســـقيط وهو ندى يسقط من السماء على الارض فيتجمـــد تقول جلدت الارض فهى مجلودة ، والشجا : ما ينشب فى الحلق .

واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بنى عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فمر به أخوها الحارث ابن عمرو فقال زهير لبنيه : ان هذا الحمار طليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها ، أيزوركم خالد فتوثقونه ثم حلبوا له رطبـا من لبن وأخذوا منه يمينا ألا يخبر عنهم فخرج حتى أتى بنى عامر فأخبرهم فركب خالد ابن جعفر وحندج بن البكـاء ومعاوية بن عبـاد وثـلاثة من فوارس بنى عامر ، واقتصـوا فرأوا ابل بنى جذيمة فنزلوا عن الخيل ، فقالت النساء انا لنرى غابة رماح بمكان ما كنا نرى به شـيئا ثم جاءت الرعاء فخبرت بهم وأتى أسيد أخاه زهيرا فأخبره بالخبر فلم يشعر الا والخيل أحاطت به قال زهير (وظنهم أهل اليمن) ما هؤلاء ؟ قال أسيد هم القوم الذين تغضب فى شأنهم منذ الليلة ، فركب أسيد فرسه ونجا ووثب زهير على فرسه القعساء ، وكانت متمردة فلحقه خالد راكباً فرسه حذفة وهو يقول لا نجوت ان نجا زهير ، فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير واستغاث ببنيه ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم يغن شيئا ، وكان على حندج درعان ثم ضرب حندج رأس زهير فقتله وفى ذلك يقول ورقاء بن زهير :

رأيت زهيرا تحت كلكـل خـالد
فأقبلت أسـعى كالعجـول أبادر (٢٤)

الى بطـلين ينهضـان كلاهمـا
يريدان نصل السيف والسيف دائر (٢٥)

فشـلت يمينى يوم أضرب خـالدا
ويسـتره منى الحديد المظـاهر

فيا ليت أنى قبـل ضربة خـالد
ويوم زهـير لم تلدنى تمـاضر

ومنهم مجمع بن هلال بن خالد بن مالك . وهذا الرجل ممن يضرب بشجاعته المثل بين العرب ومن حديثه أنه غزا مرة يزيد بن سعد بن زيد بن

(٢٤) الكلكل : الصدر أو ما بين الترقوتين .
(٢٥) يقال دثر السيف صدىء فهو داثر .

مناة فلم يصب شـــيئا فرجع من غزاته فمر بماء لبنى تيم وعليه ناس من بنى مجاشع فقتل فيهم وأسر فقال فى ذلك :

ان أمس ما شـــيخا كبيرا فطـــالما
عمـــرت ولكن لا أرى العمـــر ينفع

مضـــت مائة من مولدى فنضـــيتها
وخمس تبـــاع بعـــد ذاك وأربع[٢٦]

وخيل كأسراب القطا قد وزعتهـــا
لها ســـبل فيـــه المنيـــة تلمع[٢٧]

شـــهدت وغنـــم قـــد حويت ولذة
أتيت ومـــاذا العيش الا التمتـــع

وغانيـــــة يوم الهييمى رأيتهـــا
وقد ضمها من داخل الخلب مجزع[٢٨]

لها غلل فالصـــدر ليس ببـــارح
شجى نشـــب والعين بالماء تدمع[٢٩]

تقول وقد أفردتهـــا من حليلهـــا
تعســـت كمـــا أتعســـتنى يا مجمع

فقلت لها بل تعس أخت مجاشـــع
وقومك حتى خدك اليوم أضرع[٣٠]

عبـــأت له رمحـــاً طـــويلا وألة
كأن قبس يعـــلى بها حين تشرع[٣١]

وكائن تركت من كريمـــــة معشر
عليهـــا الخموش ذات حزن تفجع[٣٢]

---

(٢٦) من قولهم نضا ثيابه اذا نزعها .
(٢٧) وزعتها أى كففتها ، والمنية : الموت .
(٢٨) الهييمى : يوم الواقعة ، اسم لهذا الموضع .
(٢٩) الغلل : الماء الجارى بين الأشجار وجعله كناية عن الشجى وهو ما ينشب فى الحلق من عظم وغيرة .
(٣٠) اضرع : ذليل .
(٣١) عبأت له : هيأت له والاله : الحربة والقيس : النار .
(٣٢) وكائن تركت أى وكأى تركت ، والخمش فى البدن : القطـــع والجرح .

ومنهم عتيبة بن الحارث وربيعة بن مكدم وعنترة العبسى الشـــاعر الشهير وملاعب الأسنة وزيد الخيل وعامر بن الطفيل وعمرو بن معد يكرب وزيد الفوارس واميه بن حرثان وعمرو بن كلثوم وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر لكثرتهم ونكتفى فى هذا البحث بعقد فصول للمشهورين منهم والله من وراء القصد .

الفصل الثاني

الشعراء الشجعان

من السوقة والصعاليك والعبيد

الشنفرى (عمرو بن مالك) الأزدى(*)

هو الشاعر القحطانى الأزدى وهو كما فى الجمهرة وغيرها من بنى الحارث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر وهو من فحــول الطبقة الثانية ، وكان من فتاك العرب وعدائيهم ، وهو أحد الخلعــاء الذين تبرأت منهم عشائرهم ، والشنفرى لقبه ومعناه عظيم الشفة . وقيل اسمه ثابت بن جــابر وهذا غلط ، كما غلط العينى فى زعمــه أن اســـمه عمرو بن براق (بفتح الباء وتشديد الراء) بل هما صاحباه فى التلصص والخلاعة ، وكان الثلاثة أعدى العدائين فى العرب لم تلحقهم الخيل ، وأمه حبشية ولذلك عد من أغربة العرب ، ومع كونه أزديا ، فلم ينشأ فى قبيلة الأزد انما نشأ فى قبيلة فهم ، ويضـــطرب الرواة فى ســـبب نزوله مع أمه وأخ له بها ، وربما كان اقرب ما يروونه من ذلك أن قبيلته قتلت أباه ، فتحولت أمه عنها الى بنى فهم ومما يرجح أننا نجــده يخص بغزواته بنى ســـلامان الأزديين معلنا فى أشعاره أنه يقتص لنفســـه منهم ومازال يترصـــدهم ويغتالهم حتى قتلتسعة وتسعين منهم، ولم يبقعليه سوىرجل واحد لتتم المائة وكان فى جملة قتلاه حرام بن جابر السلامانى أخو أسيد بن جابر العداء المشهور فقعد له أسيد ذات ليلة فى مضيق ومعه ابن اخته ورجل ثالث يقال له حازم ، فمر الشنفرى بهم يريد الماء ، فأبصر سوادهم فرماه بسهم ، وكان لا يرى سوادا الا رماه ، فشك ذراع ابن أخى أسيد الى

(*) انظر المراجع الاتيــة :
(١) خزانة الادب ج ٣ المطبعة السلفية ١٣٤٩ .
(٢) والتاج ٣ : ٣١٨ .
(٣) والعينى ٢ : ١١٧ ، وسحط .
(٤) واللآلى ٤١٣ .
(٥) واعجب العجب ١١ .
(٦) وشرح الحماسة للمرزوقى ٤٨٧ و ٤٩٠ .
(٧) والتبريزى ٢ : ٢٣ — ٢٦ .
(٨) ومجمع الأمثال ١ : ٣٣٢ .

عضده فلم يتكلم ، وكان حازم منبطحا يرصده ، فقطع الشنفرى بضربة أصبعين من أصابعه ، ثم عدا عليه أسيد وابن أخيه وهو على الماء فأخذا سلاحه وأسراه ، وجاء به الثلاثة الى بنى سلامان ، فقضت عليه القبيلة بالموت انتقاما منه ، فقطعوا رأسه وتركوه والجثة عرضة للضـــوارى المفترســـة ، فحدث ان رجلا منهم عاج على جمجمته يوما وقد تعرت من اللحم ، فرفسها برجله تشفيا وازدراء ، فغرزت شظية من عظمها فى قدمه فشقتها ونغر الجرح فلقى الرجل حتفه ، فتمت به المائة ، وبر الشنفرى بقسمه فقرت عيناه بعد موته (لأنه كان قد أقسم ان يقتل مائة من بنى سلامان) .

والشنفرى أحد مشاهير العدائين فى الجاهلية وبه يضرب المثل فيقال « أعدى من الشنفرى » وله فى العدو أخبار لذيذة مع زميليه تأبط شرا وعمرو بن براق ، قيل انهم ذرعوا خطـــاه فوجـــدوا أول نزوة نزاها احدى وعشرين خطوة والثانية سبع عشرة خطوة ، والثالثة خمس عشرة خطوة ، وكان يفاخر بخفة رجليـــه ويزعم انه يســـبق القطا الطائرة الى الماء فيشرب قبلها ويترك لها فضلته .

وتشرب آسآرى القطا الكدر بعدما
سرت قربا احنـــاؤها تتصـــلصـــل

وحياة هذا الشاعر حافلة بالجرائم كحياة أكثر الصعاليك ، فقد كان يقطع الطرق على المسافرين ، فاذا انفرد بهم انقض عليهم واستباح أموالهم ، أو يغير ليلا على الأحيـــاء الآمنة فيروع النســـاء والأطفال ، ويبطش بالرجال ، ثم يعود كاسبا غانما ، وفى لاميته المشهورة صـــورة موجزة لغارة ليلية رافقه فيها الجـــوع والبرد والخوف ، فأيم النســـاء وأيتم الأولاد ، وعاد وقد أتم مهمته قبل أن يطلع الصباح .

وليلة نحس يصـــطلى القوس ربهـــا
وأقطعـــه اللاتى بهـــا يتنبـــل
دعست على عطش وبغش وصحبتى
ســـعار وارزيز ووجـــر وافكـــل

فأيمت نســـوانا ، وأيتمت الــدة
وعدت كما ابدأت والليــل أليـــل

وكان يصـــحب فى غاراته رفقاءه من الصـــعاليك كعامر بن الأخنس وتأبط شرا والمسيب وعمرو بن براق ، ومرة بن خليف ، فقد اغارو مرة على العوص وهم حى من بجيلة فلما انتهوا من الغارة وأخذوا طريق العودة اعترضـــت لهم خثعم ، ودارت بينهم معركة انتهت بانتصـــار الصعاليك ، ونرى الشنفرى حينما فرغ من المعركة يحدثنا عنها حديثا رائعا فيه دقة وتفصيل يبدأ منذ أعلن امرأته انه خارج للغارة ، غير مبال بحياته أو حريص عليها ، وفيم المبـــالاة والحرص وهو يعلم أن أجـــله لابد آت فى يوم من الأيام :

دعينى وقولى بعــد ما شـــئت اننى
ســـــيغذى بنعشى مــرة وأغيب

وهو لا يطيل فى هذا الحديث ـــ كما يقول الدكتور يوسف خليف[٩] لأنه فى لهفة الى أن يدرك رفاقه ، والموقف لا يحتمل ريثا ولا ابطاء ، فليسرع الى رفاقه فى لهفة شديدة ، ويذكر لنا فى هذه الغارة انهم كانوا ثمانية ، وانهم خـــرجوا جميعا مسرعين لم يعهــدوا الى أحد بالقيام بشئونهم ، ولم يوصوا أحدا بأهلهم ، وهم جميعا فتيان كأنهم الذئاب ، وجوههم مشرقة لا تبدو عليها مظاهر جزع أو خوف :

خرجنا فلم نعهد وقلت وصـــاتنا
ثمـــــانية ما بعـــــدها متعتب

سراحين فتيـــــان كأن وجوههـــم
مصـــابيح أو لون من الماء مذهب

ثم ها هم أولاء فى طريقهم الى هدفهم مسرعين ، لا يعرجون على شىء حتى على الماء ، على شدة حاجتهم اليه ، وعلى علمهم أن الزاد ظن مغيب ، ثم ها هم أولاء بعدثلاثة أيام على أقدامهم يصلون الى هدفهم يتقدمهم دليل خفيف فارع شجاع :

---

(٩) ١٨٣ الشعراء الصعاليك دار المعارف .

نحر برهو[١٠] الماء صـــفحا وقد طوت

ثمـــــائلنا والزاد ظـــن مغيب[١١]

ثلاثا على الاقـــدام حتى ســـما بنا

على العوص شعشاع من القوم[١٢] محرب

ثم يصور المعركة التى دارت قبيل الفجر فى ظلام الهزيع الأخير من الليل ، وقد تنبه لهم الحى الذى يهاجمونه ، فعلت صـــيحاتهم ، واختلطت بصيحات الصعاليك ودارت المعركة ، وقام كل من الصعاليك بدوره فيها فى بطولة وشجاعة .

وشعر الشنفرى يمثل أصدق تمثيل شعر الفطرة البدوية بخشونة الفاظها وبساطة معانيها ، فهى وحشية التعابير على اجمالها ، ساذجة التفكير فى الاعراب عن حالة صاحبها ، تصور انانية الشاعر وتمرده على الحياة، تقرأ هذا الشعر فيضيق صدرك بما فيه من لفظ غريب متصلب، تباعد العهد بينك وبينه واذا تدبرت معانيه بعد لأنى لمست تلك الروح البدوية فى شـــاعر لم يزل على فطرته ، يتظـــلم من أهـــله لأنهم لم يعينوه على جرائمه ، ويلجأ الى أمه الطبيعة مستأنسا بها ، رابطا أواصر القربى بسباعها ووحوشها — يفاخر اذا فاخر بالتشرد والفتك والسلب والايتام والتأييم ويرى من مناقبه أنه يسبق القطا الى الماء ، وأنه لا يمد يده الى الطعام الا بعد أن يمد غيره اليه لئلا يرمى بالجشـــع وهو يقنع بالقليل من القوت .

وان مدت الأيدى الى الزاد لم أكن

بأعجلهم اذ أجشـــع القوم أعجـــل

وهذا البيت من القصيدة اللامية التى وسمت بلامية العرب وهى مما نحل عليه فقد نص الرواة على أنها من صنع خلف الأحمر[١٣] ولو لم

---

(١٠) الرهو : مستنقع المـــاء .

(١١) الثمائل جمع ثميلة وهى سقاء المـــاء الشعشاع .

(١٢) والمحرب : الشديد الشجاع انظر الأغانى ١٨/٢١٥ ، ٢١٦ .

(١٣) الآمالى للقالى الطبعة الأولى ١/١٥٧ .

يكن له الا قصيدته التائية التى تصـــور مغامراته ووقائعه وغاراته التى كان يقوم بها هو ورفقاء الســـوء من عصابته ما بين الفينة والأخرى وأعجب شيء يحكيه لنا فى هذه القصيدة هو أنهم كانوا يسيرون الى غاراتهم راجلين ، غير هيابين ولا وجلين من اقتحام الصعاب وخوض المعامع والحروب ، ولا يهمه ان يكسب الحرب أو يخسرها — المهم أن يغير وأن يستمر فى الغزو واذا فرض وخسر الحرب فان ذلك لن يقعده هو ورفقـــاؤه بل يكون ذلك حافزا ودافعا لتعويض ما أصـــابهم من من خسارة يقول :

وباضـــــعة حمـــر القسى بعثتهـــــا
ومن يغـــز يغنم مرة ويشـــمت[١٤]

خرجنا من الوادى الذى بين مشـــعل
وبين الجبا ، هيهات انشأت سربتى[١٥]

أمشى على الأرض التى لن تضـــيرنى
لأكســـــــب مالا أو ألاقى جمتى[١٦]

أمشى على أين الغـــزاة وبعــــــدها
يقـــربنى منهــــا رواحى وغـــدوتى

اذا ما أتتنى حتفتى لم أبالهـــــــــا
ولم تذر خـــــالاتى الدموع وعمتى

الى أن يقول :

وانى لحـــلو ان اريدت حـــــلاوتى
ومر اذا النفس الصدوف اســـتمرت

ويقال ان أحسن بيت فى القصيدة قوله فى أم عمرو[١٧] :

وهى من قصيدة منها :

---

(١٤) باضعة : قاطعة ويريد بها رفاقه ، يشمت : يخيب ويفشل .
(١٥) مشعل والجبا : موضعان ، السرية : الجماعة .
(١٦) فى نسخة أخرى أو الاقى حمتى وفى مغطوط او الاقى منيتى انظر الأغانى جـ ٢١ ص ٢٠١ .
(١٧) لابن التعب .

فدقت وجلت واســـبكرت وأكملت

فلو جن انســـان من الحسن جنت[١٨]

لقد اعجبتنى لا ســـقوطا قناعهـــا

اذا ما مشـــت ليســـت بذات تلفت

تبيت بعيد النوم تهـدى عبوقهـــا

لجـــــارتها اذ ما الهــــدية قلت

تحـــل بمنجاة من اللـــوم بيتها

اذا ما بيـــــوت بالمذمــــة حلت

كأن لها فى الأرض نســيا تقصـــه

على أمهـــــا وأن تكلمك تبلت[١٩]

أميمة لا يخـــزى نثاها حليلهـــا

اذا ذكر النســـوان عفت وجلت[٢٠]

وفى القصيدة تلمس عزاءه الوحيد الذى عوضه عما فقده فى قومه . عزاء أجده فى تلك الزوجة الصالحة الأمينة فيملأ نفسه غبطة نتمثلها فى هذا الشـــعر الرائع الذى يقدم منـــا صـــورة فريدة للمرأة المحمـــودة فى الجاهلية خلقا وخلقا ، فزوجة لا يسقط مناعها عن وجهها ، ولا تلتفت اذا مشت ، طيبة الرائحة فىالصباح حين تتغير روائح النائمين ، بيتها لا يناله عار لسببها ، تسير وانكارها عالقة بالأرض لحيائها كأنها تبحث عن شىء أضاعته ، وان حدثت اختصرت الحديث فما تدفعها الوقاحة الى الهز والثرثرة كما يفعـــل بعض النســـوة غيرها ، عفيفة طيبة الاحدوثة لا يفتضح بها زوجها كونهـــا الله دقيقة الخصر ، عظيمة الردف طـــويلة القامة ، كاملة المحاسن فلو جن انسان من الحسن لكانت أحق من غيرها بالجنون .

وهى صفات جيدة حبذا لو نهج الزوجات نهجها وقصـــصن أثرها اذن لكان لهن شأن فى الحياة واى شأن .

---

(١٨) اسبكرت : طالت .

(١٩) النسى : الشىء المفقود ، تقصه : تتبعه أمهـــا : قصدها ، تبلت : تنكسر فى مشيها وكلامها .

(٢٠) نثاها : ذكرها ، دقت : اى خاصرتها ، جعلت : عظمت اردافها، اسبكرت : امتد قوامها .

الحارث بن ظالم ٦٠٠ م

الحارث بن ظـــالم بن غيظ المرى أبو ليلى أشـــهر فتاك العرب فى الجاهلية وبه ضرب المثل فقيل « أفتك من الحارث بن ظالم » وقد عرف الحارث بالجرأة والاقدام والشجاعة والفروسية ، يلقى نفسه فى المهالك اذا بدت له خطة يريد تحقيقها ، وعرف بالوفاء لجيرانه . وطالما عرض نفسه للمخاطر ليرفع الضيم عنهم ، ومن خبر فتكه ووفائه أنه وثب بخالد ابن جعفر بن كلاب وهو فى جوار الأسود بن المنذر الملك ، فقتله ، وطلبه الملك ففاته فقيل له انك لن تصيبه بشىء أشـــد عليه من سبى جارات له فبعث فى طلبهن ، واستاقهن وأموالهن[1] . فبلغه ذلك ، فكر راجعاً من وجه مهربه وسأل عن مرعى ابلهن فدل عليه وكن فيه فلما قرب من المرعى اذا ناقة لهن يقال لها اللقاع غزيرة بجبلها حاليان فلما رآها قال الحارث :

اذا ســـمعت حنـــة اللقاع فادعى أبا ليلى فنعـــم الداعى
يمشى بعضب صـــارم قطـــاع يغرى به مجـــامع الصـــداع

ثم قال خليـــا عنها ، فعرف البـــائن كلامه فحبق ، فقال المعلى والله ما هى لك فقال الحارث اســـت البائن أعلم فذهبت مثلا فخليا عنها ، ثم استنقذ جاراته وأموالهن ، وانطلق فأخذ شـــيئا من جهاز رجل يقال له سنان بن أبى حارثة المرى فأتى به اخته سلمى بنت ظالم وكانت عند سنان وقد تبنت ابن الملك شرحبيل بن الأسود بن المنذر فقال لها : يقول بعلك ابعثى بشرحبيل بن الملك مع الحارث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة قرينته ودفعته اليه فأخذه وقتله وهرب[2] .

والحارث شاعر مجيد فى الفخر والحماسة والهجاء ويرجع نبوغه فى هذه الأغراض الى الوقائع المريرة التى كان لها الأثر الكبير فى حياته ، فقد قتل أبوه وهو طفل وشب وفى نفسه أشياء من قاتل أبيه فقد أغار

(١) الأمثال للميدانى ج ٢ ص ٣٥ مطبعة عبد الرحمن محمد ١٣٥٣ هـ .

(٢) الكامل : ج ١ : ٥٦٣ دار صادر بيروت ١٩١٥م .

خالد بن جعفر على رهط الحارث بن ظالممن بنى يربوع وهم فى واد يقال له حراض فقتل الرجال حتى أسرف والحارث يومئذ غلام وبقيت النساء وزعموا ان ظالما هلك فى تلك الوقعة من جراحة اصابته يومئذ ، وكان نساء بنى ذبيان لا يجلبن النعم فلما بقين بغير رجـال طفقن يدعون الحارث فيشد عصاب[٣] الناقة ثم يحلبنها ، ويبكين ويبكى الحارث معهن فنشأ الحارث على بغض خالد ، وأردف ذلك قتل زهير بن جذيمة فاستحق العداوة فى غطفان وقال خالد بن جعفر يصور هذه المشاهد فى شعر يغلب عليه الأقواء[٤] :

تركت نسـاء يربوع بن غيظ   أرامـل يشـتكين الى وليـد
يقلن لحـارث جـزعا عليـه   لك الخـيرات مالك لا تسـود
تركت بنى جذيمـة فى مكـر   ونصرا قد تركت لدى الشـهود
ومنى سـوف تأتى قـارعات   تبيد المخـزيات ولا تبيد[٥]

فسار الحارث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرا فأقبل النعمان يسائله فحسده خالد فقال للنعمان : أبيت اللعن ! هذا رجل لى عنده يد عظيمة ، قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها ! فقال الحارث سأجزيك على يدك عندى ، وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب ، فقال عروة لأخيه خالد : ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا ؟ فقال خالد : وما يخوفنى منه ؟ فوالله لو رآنى نائما ما أيقظنى — ثم خرج خالد وأخوه الى قبتهما فشرجاها عليهما ، ثم نام خالد وعروة عند رأسه يحرسه ، فلما أظلم الليل ، أنطلق الحارث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك ثم أيقظ خالدا فلما استيقظ قال : أتعرفنى ؟ قال أنت الحارث ، قال : خذ جزاء يدك عندى ؟ وضربه بسيفه المعلوب فقتله كما قدمنا ثم خرج

---

(٣) عصاب الناقة ، ما تشد به لتدر يقال عصب النـاقة يعصبها عصبا اذا شد فخذيها او ادنى منحزيها بحبل لتدر .

(٤) الاقواء من العيوب الشعرية المعروفة .

(٥) الأغانى ج ١١ ص ٨٩ دار الثقافة بيروت ١٩٥١ .

من القبة وركب راحلته وسار ، وخرج عروة من القبة يستغيث وأتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبث الرجال فى طلب الحارث — قال الحارث فلما سرت قليلا خفت أن أكون لم أقتله فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت أنه مقتول وعدت فلحقت بقومى فقال عبد الله بن جعدة الكلابى :

يا جار لو نبهته لوجدته — لا طائشا رعشا ولا معزالا
شقت عليه الجعفرية جيبها — جزعا وما تبكى هناك ضلالا
فانعوا أبا بحر بكل مجرب — حران يحسب فى القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم — وليجعلن لظالم — تمثالا

فأجابه الحارث :

تالله قد نبهته فوجدته — رخو اليدين مواكلا عسقالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه — حتى أضل بسلحه السربالا[٦]

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد ، فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن ضمرة ، فأجاره على النعمان وهوازن .

والغريب من أمر هذا الفارس الفاتك انه مع حيرته وتنقله فى طلب الحماية والجوار ، لم يكن يتأخر عن القاء نفسه فى تهلكه جديدة اذا نالته أذية من شخص ، ولو أذية كلام ، فما يستطيع صبرا على الأذى مهما تكن نتيجة الأمر فقد بلغه أن عمرو بن الاطنابة ملك الحجاز[٧] يهدده ويقول فيه سوءا وكان عمرو بن الاطنابة صديقا لخالد بن جعفر ، فلما بلغه مقتله قال « لو وجده يقظان ما أقدم عليه ولو ددت انى لقيته » فأرسل اليه الحارث يتوعده فقال عمرو .

علانى وعللا صاحبيا — واسقيانى من المروق ريا[٨]
ان فينا القيان يعزفن — بالدف لفتياننا وعيشا رخيا

الى أن يقول :

(٦) الكامل جـ ١ ص ٥٦٠ دار صادر ١٩٦٥م .
(٧) الأغانى جـ ١١ ص ١١٥ دار الثقافة بيروت ١٩٥٧م .
(٨) المروق : المصفى .

ابـلغ الحـارث بن ظـــالم الرعديد والنـاذر النذور عليـا
اننا نقتـل النيـــام ولا نقتـل يقظـان ذا ســـلاح كميـا

فلما بلغ الحارث شعره هذا ازداد حنقا وغيظا فسار حتى أتى ديار بنى الخزرج ثم دنا من قبة عمرو بن الاطنابة ثم نادى أيها الملك أغثنى فانى جار مكثور[9] فأجابه وخرج معه . فلما أبعدا عطف عليه الحارث وقال لعمرو « أنائم أنت أم يقظان » فأجفل منه عمرو وخاف على نفسه منه ، ثم ألقى رمحه من يده وقال : قد أعجلتنى ، فأمهلنى حتى آخذ رمحى فقال : خذه قال : « أخاف أن تقتلنى قبل أن تناوله » قال : « وذمة ظـالم لا أعجلتـك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخـذه قال : « وذمة الاطنابة لا آخذه ولا أقاتلك وقال الحارث يصور هذا الأمر :

بلغتنى مقـــالة المـرء عمـرو فألفنـــا وكان ذاك بديـــا
قد هممنـــا بقتـــله اذ برزنا ولقينـــاه ذا ســـلاح كميـــا
غـــير ما نائـــم تعــــلل بالحـــلم معدا بكفية مشرفيـا
فمننـــا عليـــه بعـــد اقتـــدار بوفـــاء وكنت قـدما وفيـا

« وقد وفى الحارث بذمته ولم يغدر بخصمه لأن الشرف يأبى عليه الغدر فى هذه الحالة وهو ضـنين بشرفه ، حريص على ذمته ، فكما أنه يفتك وينتقم لأدنى اهانة تلحقه ، فكذلك يفى ويبر لأدنى ذمة تربطـه بغيره فقد مر رجل يقال له عياض بن ديهث برعيان الحارث وهم يسقون الابل ، فأراد أن يسقى ابله ، فقصر حبله عن بلوغ الماء فى البئر ، فوصله بحبل للحارث وأروى نياقه ، وفيما هو منصرف أغير عليه ، فأخذت الابل منه ، فرجـع الى بنى مرة وصـاح يا حار يا جاراه ! فقال له الحارث « ومتى كنت جارك ؟ قال : وصلت حبلى بحبلك فسـقيت ابلى ، فأغير عليها وأخذت منى وذلك الماء فى بطونها » قال جوار ورب الكعبة . وذهب معه ومازال يطلب المال حتى اسـتنقذه وأخبار الحارث فى الوفاء كثيرة كأخباره فى الغدر ، صور متناقضة تتنازع فيها الحيوانية والانسانية على

---

(٩) كثر اعداؤه فغلبوه بكثرتهم .

شرف البـــداوة وعنجهية الاعراب ولولا الشرف والعنجهية لمـــا اجتمع الغدر والوفاء فى هذا البدوى الخشـــن الطباع ، فعفـــوه عن عمرو بن الاطنابة ، وقبوله جوار صاحب الحبل يمتعان نفسه المتكبرة كما يمنعها غدره بخالد بن جعفر وفتكه بطفل النعمان •

مـــوته :

وكانت نهاية امره بعد أن سدت المذاهب فى وجهه ان هرب الى مكة وسرى خبره الى النعمـــان بن المنذر الذى ندم على فوته اياه فلطف له له وراسله وأعطاه الأمان ، وأشهد على نفســـه وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن انه لا يطلبه بذحل ولا يسوءه فى حال ، وأرسل به مع جماعة ليسكن الحارث اليهم ، وأمرهم ان يتكفلوا له بالوفاء ويضـــمنوا له أنه لا يهيجه ففعلوا ذلك، وسكن اليه الحارث فأتى النعمان وهو فى قصر بنى مقاتل ، فقال للحاجب اســـتأذن لى ، والناس يومئذ عند النعمان كثير فاستأذن له ، فقال النعمان : ائذن له وخذ سيفه فقال له ضـــع ســـيفك وادخل ، فقال الحارث ولم أضعه ؟ قال ضعه ولا بأس عليك •

فلما الح عليه وضعه ودخل ومعه الأمان فلما دخل قال : أنعم صباحا أبيت اللعن ، قال لا أنعم الله عليك صباحك ! فقال الحارث هذا كتابك ! قال النعمان كتابى والله ما أنكره أنا كتبته لك ، وقد غدرت وفتكت مرارا فلا ضـــير ان غدرت بك مرة ثم نادى من يقتل هذا فقـــال ابن الخمس التغلبى وكان الحـــارث قد فتك بأبيه أنا أقتـــله فقتـــله فقـــال قيس ابن زهير يرثيه :

وقصرت[١٠] من حاضن ستر بيتهـــا
أبر وأوفى منك حـــار بن ظـــالم

أعز وأحمى عند جـــــار وذمـــة
وأضرب فى كاب من النقع قاتـــــم

(١٠) قصر الستر — ارخاه ولعل نصبت أبر على حذف الجار اى ما ارخت حاضن ستر بيتها على ابر واوفى منك الخ انظر الاغانى ج ١١ ص ١١٣ . دار الثقافة بيروت ١٩٥٧م وانظر الشعراء الفرسان ص ٧٧ .

عروة بن الورد

عروة بن الورد بن زيد وينتهى نسبه الى مضر بن نزار شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها ، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد ، وكان يلقب عروة الصعاليك ، لجمعه اياهم ، وقيامه بأمرهم اذا أخفقوا فى غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى وقيل بل لقب بعروة الصعاليك لقوله :

لحى الله صعلوكا اذا جن ليله   مصافى المشاش[11] آلفا كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ·· ليلة   أصاب قراها من صديق ميسر[12]
ولله صعلوك صفيحة وجهه   كضوء شهاب القابس المتنور

وكان يشرك الفقراء من الصعاليك فى ماله وثرواته ولذلك يقول عبد الملك بن مروان : « من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة ابن الورد — ويقول معاوية لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج اليهم .

وكان عروة بن الورد اذا أصابت الناس سنة شديدة وتركوا فى ديارهم المريض والكبير والضعيف ، يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته فى الشدة ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف[12] عليهم الكنف ويكسبهم[13] ، ومن قوى منهم اما مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثوب اليه قوته خرج به معه فأغار ،وجعل لأصحابه الباقين فى ذلك نصيبا ، حتى اذا أخصب الناس وألبنوا ، وذهبت السنة الحق كل انسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمه ان كانوا غنموها فربما أتى الانسان منهم أهله وقد استغنى ، فلذلك سمى عروة الصعاليك يقول فى معنى ذلك :

وانى امرؤ عافى انائى شركة   وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى   بجسمى مس الفقر والفقر جامد
أفرق جسمى فى جسوم كثيرة   وأحسو قراح الماء والماء بارد

---

(١١) مصافى المشاش : آلفه وملازمه والمنكب عليه ، والمشاش : كل عظم هش دسم واحدته مشاشة .

(١٢) يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤيهم اليها واحدها كنيف .

(١٣) ويكسبهم : يقال كسب لأهله : طلب المعيشة .

وكان كثير التجوال فى البلاد يغزو ويصيب من الأغنياء ما شـــاء له أن يصـــيب ، لا يقــر له قرار ولا تغمض له عين حتى يظفر بالغنائم ويستولى على الأسلاب ثم يفرقها على الضـــعفاء من صـــحبه واخوانه وأنشد فى ذلك المعنى :

لعل ارتيادى[١٤] فى البلاد وبغيتى ... وشـــدى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعنى يوما الى رب هجمة[١٥] ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخـــل

قال ابن الاعرابى : أجدب ناس من بنى عبس فى ســـنة اصـــابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شـــديد وبؤس ، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصـــعاليك : أغثنا ، فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشا فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك ، فعصاها وخرج غازيا ، فمر بمالك بن حمار الفزارى ثم الشمخى ، فسأله اين يريد ، فأخبره ، فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها ، وأشار عليه مالك أن يرجع ، فعصاه ومضى حتى انتهى الى بلاد القين فأغار عليهم فأصاب هجمة عاد بها على نفسه وأصحابه وقال فى ذلك :

أرى أم حســـان الغداة تلومنى ... تخوفنى الأعداء والنفس أخوف
تقول ســـــليمى لو أقمت لسرنا ... ولم تدر أنى للمقـــام .. أطوف
لعل الذى خوفتنا من أمامنـــــا ... يصـــادفه فى أهله . . المتخلف

وقال فى ذلك أيضا :

أليس ورائى أن أدب على العصـــــــا
فيشـــــمت أعـــدائى ويســـــأمنى أهلى

---

(١٤) وفى ديوان الحماسة « لعل انطلاقى فى البلاد ورحلتى » .

(١٥) الهجمة : من الابل اولها اربعون الى مازادت أو ما بين السبعين الى المائة او الى دوينها فاذا بلغت المائة فهى هنيدة : انظر الأغانى ج ٣ ص ٩٢٥ .

رهينـــة قعـــر البيت كل عشـــية
يطيف بى[١٦] الولدان أهـدج[١٧] كالـرأل
أقيموا بنى لبنى صـــدور ركابكـم
فكل منـايا النفس — خـير من الهـزل

فقد أشرب روح الاغتراب ، وقطع المهامه والقفار شـأنه فى ذلك شأن الصعاليك الذين تعودوا معايشة السباع والضباع وحمر الوحش وهذا ما دفع عبد الله بن جعفـر بن أبى طالب أن يقـول لمعـلم ولده : لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التى يقول فيها :

دعينى للغنى أسـعى فانى ... رأيت الناس شرهم الفقـير
وأهونهـم وأحقرهـم لديهـم ... وأن كان له شرف وخـير
ويقصـيه النـدى وتزدريه ... حليلتـه وينهـره الصـغير
قليـل ذنبـه والذنب جـم ... ولكـن للغنى رب غفـور

ويقول ان هذا يدعوهـم الى الاغتراب عن أوطانهم وفى رأيى ان الاغتراب من شأنه أن يصقل تجارب الانسان ، ويجعله أكثر خبرة ودربة فى أمور الحياة فضلا عما يكتسبه من ترويح نفس واكتساب معيشـة ، والتعرف بالأماجد والحظوة بالاصدقاء بالاضافة الى ما يحصله من علوم وآداب لا يسـتطيع أن يظفر بهـا اذا كان رهينة البيت وقعيد الدار وصدق الشاعر اذ يقول :

تغرب عن الأوطان فى طلب العلا ... وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشـة ... وعلم وآداب — وصـحبة ماجد
وان كان فى الأسفار ضيق وشـدة
وجوب الفيافى واقتحام الشـدائد

(١٦) يطيف بى الولدان : فى ديوان الحماسة يلاعبنى الولدان .
(١٧) اهدج : وصف من الهدج أو الهدجان وهو اضطراب المشى من الكبر ، ولهـذا سـموا مشـية الشـيخ هدجانا ، والرال : ولد النعام وشبه الشيخ به فى مشيته لأن فى مشيته ارتعاشا — يقال هدج الظليم يهدج هدجانا اذا مشى وغدا فى ارتعاش .

فموت الفتى خير له من حيــــاته ... بدار هوان بين واش وحاسـد

لذلك شغل السعى والتطواف شـعر عروة كما شغل حياته ، فكان أكبر همه أن يقع على ثروة يسـد بها فاقته وفاقة صعاليكه ، لأنه رأى الناس يزدرون الفقير ولا يجعلون له وزنا فى مجتمعهم ولو كان عاقلا فضلا ، ورأهم يعظمون الغنى مبالغين فى اطراء فضائله ، متناسـين عيوبه وما يقترف من ذنوب ، فسعى عروة كثيرا ، وتشرد غازيا يسـلب الأحياء ويقطع الطرق على القوافل ، ما يستقر فى مكان ، ولا يدرى أين يؤدى به الطواف ، فليله فى موضع ، ونهاره فى موضع آخر فاذا سألوه الى أين أنت راحل قال :

وسـائلة اين الرحيل وسـائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه ؟

وأكره شىء عليه أن يرى صعلوكا خاملا لا يسـعى فى طلب رزقه وهو قادر على السعى لا يمنعه غير الكسل وترى فى شعره صورة الصعلوك الخامل الذى يكرهه وصورة أخرى للصعلوك المحبب لديه ذلك الصعلوك النشيط كثير التجوال دائم الترحال يقول فى ذلك مصورا ذلك :

لحا الله صـعلوكا اذا جن ليله ... مصافى اشـاش آلفا كل مجزر
يعد الغنى من نفسـه كل ليلة ... أصاب قراها من صـديق ميسر
ينام عشـيا ثم يصبح ناعسـا ... يحت الحصى عن جنبـه المتعفـر
يعين نسـاء الحى ما قد طلبنـه ... ويمسى طليحا كالبعير المحسر[١٨]
ولكن صـعلوكا صـفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنور[١٩]
مطـلا على اعـدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المنيح المشهر[٢٠]
اذا بعـدوا لا يأمنـون اقترابه ... تشـوف أهل الغائب المتنظر[٢١]
فذلك ان يلـق المنيـة يلقهـا ... حميدا وان يستغن يوما فأجدر[٢٢]

فالصعلوك الأول لحاه الله لأنه ينتظر مجىء الليل ليقصد الأماكن

---

(١٨) الطليح والمحسر معناهما واحد وهو الذى برح به الاعياء .
(١٩) القابس : الذى يأخذ من النار جذوة والمتنور طالب النار .
(٢٠) المنيح من اقداح الميسر ينفر منه المقامرون لأنه لا ربح معه .
(٢١) أى يترقبون عودته ترقب الغائب المنتظر .
(٢٢) اى ما اجدره بأن يستغنى .

التى تنحر بها الابل فى الحى فيجمع العظام ويأكلها ويعد نفسه غنيا ليلة يضيفه صديق ويجنى قراه ، ينام لكسله من الصباح الى المساء ويقوم ناعسا لم يشبع من النوم ، يرقد على التراب لأنه لا يسعى ليملك فراشا يرقد عليه ، فاذا استيقظ أخذ يفرك الحصى ليزيلها « عن جنبه المتعفر » يخدم نساء الحى كلما دعونه مكتفيا بهذا العمل الدنىء ، ولكن هذا العمل يتعبه على خساسته ، فلا يأتى المساء الا رأيته برك متعبا كالبعير الذى برح به الاعياء •

وأما الثانى فصعلوك يضىء وجهه كالشهاب يطل على أعدائه فى ساحتهم فيدفعونه عنهم كما يدفع المقامر القدح الذى يخسر معه ، لا يجدون الأمن اذا ابتعدوا عنه ، فهم يترقبون دائما عودته لخوفهم منه كما يترقب الأهل عودة الغائب كل حين ، فان لقى المنية هذا الصعلوك مات مشكورا ، وان لقى الغنى فهو بالغنى جدير •

من هذه الصورة المزدوجة نعلم أن عروة بن الورد كان يفرق بين صعلوك وصعلوك ، يمقت الخامل القاعد ، ولا يعذر الا المرضى والعاجزين •

وأحب شىء لديه أن يسطو على أموال الموسرين البخلاء ، قيل بلغه عن رجل من كنانة انه أبخل الناس وأكثرهم مالا ، فما زال يبث عليه العيون حتى صادف منه غرة فشد على ابله ودفعها امامها الى قومه فقسمها فيهم ، كان يكره البخلاء ، وينكر الحرص على المال ويحب الكرام ويمدحهم كما مدح مالك بن حمار لسخائه وقد بلغ به تعبده للجود ان اتخذ شرائع للضيافة لا يتم حسن القرى بدونها ، فما اطعام الضيف بكاف و يكفى أن يبيت ضيفه مستريحا ، اذا لم تقترن بالضيافة آداب مخصوصة تدل على رقة الشعور وكرم الأخلاق — فعروة الصعاليك يرى أن البشاشة للضيف أول اكرامه ولا ينبغى أن يسأل عن نسبه وبلده لئلا يلحقه — الحياء ، وعلى المضيف أن يقدم فراشه لضيفه ويجلس اليه محدثا مؤانسا لينام مطمئنا والحديث عنده من القرى :

فراشى فراش الضـــيف والبيت بيته
ولم يلهنى عنـــه غــــزال — مقنع
أحـــــدثه ان الحديث من القـــــرى
وتعـــــلم نفسى أنه ســــوف يهجع

بهذه الآداب العالية يتميز عروة فى ضيافته وجـــوده فقد كان اناؤه مشتركا ، وجسمه مقسما فى أجسام كثيرة ، كان شـــاعرا مجيدا ، يأتم بنو عبس بشعره كما قال الحطيئة • وكان فارسا شـــجاعا بعيد الغارات كالليث الضارى ، وكان صعلوكا شريفا وأبا للصعاليك[٢٣] وعروة فى كل هذه الصفات كان يعبر عن نفس كبيرة ، ومثل سامية ، كانت تنحو منحى النبل الخلقى الذى كان يرتقى الى درجات رفيعة من درجات الفروسية العربية والشجاعة الأصيلة ، وقد بلغ به الايثار والشفقة انه كان يعطى لمن يقعد عن الغزو بسبب المرض أو الضعف مثل ما يأخذه هو لنفسه ، وبهذا نستطيع أن نقول ان سلوكه كان قائما على مجموعة من التقاليد الاجتماعية ، النابعة من مبادىء طبيعته وظروفه التى تأثر بها لذا فقد كان عروة بن الورد من الدعاة الحقيقيين لهذا السلوك ، ســـواء أكان فى شعره ، أو تصرفاته مع الآخرين •

وقد علل المؤرخون دعوة عروة ، ونشوء حركة[٢٤] الصعاليك ، بأنها احتجاج على التمييز الطبقى ، وســـوء توزيع الثروة ، كما أنها كانت تستهدف مساعدة الفقراء والمعدمين ، وتتوعد أصحاب الثروات الطائلة الذين جمعوا هذه الثروة بطرق غير مشروعة — وقالوا انها قريبـــة من الاشتراكية أو مظهر من مظاهرها الواضحة والواقع أن جميع الذين كتبوا عن عروة ، كانوا متأثرين الى حد كبير بالنظريات الاشتراكية الحديثة التى سادت بعض أجزاء العالم فى الفترات الأخيرة فنظروا الى أعمال عروة بمنظار النظريات الحديثة ووجدوا فى أعماله تبريرا لهذه التسمية التى تحمل نوعا من وضع المصطلحات فى غير موضعها فسلوك عروة فى

---

(٢٣) الشعراء الفرسان ١٨٩ — ١٩٠ .
(٢٤) ص ٣٠٦ الفروسية فى الشعر الجاهلى .

هذا المجال سلوك نابع من عصره ومشـــاركته للفقراء كانت تقوم على المفاهيم التى تعارف عليها الناس فى عصره نتيجة عوامل غير العوامل التى انبعثت عنها الاشتراكية الحديثة كما أن القضايا التى تعالجها الاشتراكية فى العصر الحديث قد تعقدت ، وأصبحت قائمة بذاتها لها حلولها الخاصة المستوحاة من مستحدثات العصر ، ومن متطلباته وظروفه ، أما مشاركة عروة وفلسفته بالذات فهى مستوحاة من طبيعة عصره وظروفه • وهى لا يكاد ينفرد بها عروة وحده ، وانما هى الطبيعة العربية التى يشاركها فيها عامة العرب ، وكما كان عروة كان حاتم الطائى ، وكان دريد بن الصمة وكان الطفيل الغنى ، وكان غيرهم من الفرسان المشهورين ، والشجعان المرموقين فى كرمهم وعفتهم ومشاركتهم الناس فى السراء والضراء •

ولكن الذى ميز عروة عن غيره هو محـــاولة تطبيقه ذلك الســـلوك بدقة ، والمحافظة عليه ، والسعى به للوصول الى آنزلة متميزة تفرد بها عن سواه من الفرسان والشجعان •

تابط شرا

شاعرنا تأبط شرا كان شيطانا من شياطين العرب وصعلوكا من أكابر صعاليكها ولصوصها ، يسلك القفار الموحشة لينقض على غنيمة يفترسها ، ويبيت ليله متوحدا ، أليف الذئاب المعتسة ، والأفاعى المنتشرة ، تساوره الهواجس ، وتنتصب له الرؤى ، فتطرقه الجن بغيلانها ، فتعاركه ويعاركها حتى يفرج عنه الصباح ، فيعود من غزوته كاسبا أو خائبا ، وفى نفسه مما رأى حالات يعيش معها ، وتأتلف بشعوره ومخيلته ، فتدفع من فمه شعرا بديع التصور على ما فى البدوى من قصر النفس ، وضيق مسارح الخيال ، ويعجبه أن يتحدث بهذا الشعر الى قومه وصحبه ، راويا لهم أوهامه ، كأنها أحداث واقعة يفاخر بها خصومه وأقرانه ، بل ربما أضاف اليها أخبارا يختلقها ولم تكن من رؤى هواجسه ، فقد تعود أن يأتى بالغرائب وتعودوا أن يسمعوا منه كل غريب ، وهم لا يجدون فى هذه الأخبار ما يريب نفوسهم ويؤذى عقائدهم ، فقد كانوا يؤمنون بالجن والعفاريت ، ومخالطتها للانس فى السكنى والاستهواء ، والمؤاكلة والزواج ، الا أنهم لم يحسنوا استثمارها فى أدبهم كما أحسن اليونان من قبلهم استثمار آلهتهم ، وذلك لاستغراقهم فى المادية ، وعجزهم عن التوسع فى الاشياء التى لا تتناولها الحواس ، فبقيت أساطير الجن محدودة فى الأدب الجاهلى .

وتأبط شرا من أفراد الشعراء الذين شغلت الجن حياتهم ، وأذكت جذوة قرائحهم ، فكانوا اسطورة على باب التاريخ يختلط فيها الصحيح بالمصنوع ، فقد رافقت الغرائب حياته منذ حداثته ، وهو لم يزل فى كنف أمه وكان قد مات أبوه ، فتزوج أمه أبو كبير الهزلى الشاعر ، فلما رآه يكثر الدخول عليه تنكر له وجافاه ، وعرف أبو كبير الشر فى وجهه فاستراب به ، وقال لوالدته « قد والله رابنى أمر هذا الغلام ولا آمنه فلا أقربك منذ اليوم » ويظهر أن الوالدة لم تكن حريصة على وليدها المنكود ، بقدر ما هى حريصة على بعلها الجديد ، فأشارت عليه بأن يحتال عليه فيقتله ، فيخلصها ويتخلص منه فقال له أبو كبير : « هل لك أن تغزو

معى » ؟ فقال : « ذلك من امرى » فخرجا ليلا حتى اذا أدركهما مساء اليوم الثانى أبصرا نارا عن بعد فوجهه أبو كبير اليها ، فانطلق سريع الخطى حتى بلغها ، فاذا عليها رجلان من ألص العرب ، فوثبا اليه يريدان قتله ، فرمى أولهما بسهم ثم رمى الآخر فقتلهما ، وأخذ ما على النار من الخبز ، ورجع الى أبى كبير يخبره بما حدث فارتاع أبو كبير منه ، فلما رجع أبو كبير الى الحى طلق امرأته ثلاثا ، وقال : ان أم هذا الغلام لا أقربها أبدا ، فحرمت الوالدة بعلها الذى ارتضته لنفسها حرمها اياه ولد مشئوم طالما رأت الشر كامنا بين يديه ، حتى لقبته « تأبط شرا » .

واسمه ثابت بن جابر الفهمى وكنيته أبو زهير ، فغلب اللقب على الاسم والكنية وفى تلقيبه بتأبط شرا أقوال كثيرة أشهرها انه تأبط سيفا وخرج فقيل لأمه أين هو ؟ فقالت لا أدرى تأبط شرا وخرج وروى أن أمه قالت له فى زمن الكمأة « أ ترى غلمان الحى يجتنون لأهلهم الكمأة فيأتون بها » فقال لها اعطينى جرابك حتى اجتنى لك فيه فأعطته أياه ، فملأه لها أفاعى من أكبر ما قدر عليه وأتى به متأبطا له ، فألقاه بين يديها ثم فتحه ، فانسابت الحياة منه فوثبت الأم مذعورة وخرجت من البيت ، فسألها نســاء الحى ماذا كان ثابت متأبطا ، فقالت « تأبط شرا » ومهما كان من اختلاف الأقوال فى ســبب تلقيبه ، فان هذا اللقب يأتلف تمام الائتلاف مع صاحبه — ويدخل واياه فى عالم الأساطير ، فقد بات ذكره مرادفا للذعر والهول ، فحسب هذا الصعلوك أن يذكر اســمه أمام عدوه فتصطك امامه الركب وتنحل العزائم ، فعرف كيف يستفيد باســمه فى غزواته كما عرف أن يستفيد به فى البيع والمتاجرة ، قيل لقيه رجل من بنى ثقيف يقال له أبو وهب ، وعليه حلة جديدة ، وكان جبانا أهوج فقال لتأبط شرا ، بم تغلب الرجال يا ثابت ، وأنت كما أرى دميم ضئيل قال : باسمى ، انما أقول ساعة ما ألقى الرجل « أنا تأبط شرا » فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقفى ، هل لك أن تبيعنى اسمك ؟ قال « نعم » فبم تبتاعه ؟ قال بهذه الحـلة وبكنيتى فقال تأبط شرا لك اســمى ولى كنيتك . وأخذ حلته وأعطاه طمرية ثم انصرف وفى ذلك يقول مخاطبا : وجة الثقفى :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها | تأبط شرا واكتنيت أبا وهب
فهبه تسمى اسمى وسميت باسمه | فأين له صبرى على معظم الخطب
وأين له بأس كبأسي وسورتى | وأين له فى كل فادحة قلبى[1]

ومن الطبعى أن لا يستفيد الثقفى الأحمق من شرائه للقب الصعلوك ، وليست له شجاعة قلبه واقدامه فقد كان تأبط شرا على ضآلة جسمه يحمل بين جنبيه قلبا لا يهاب الموت ولا يخشى الردى ويروى صاحب مختار الاعانى أن تأبط شرا أغار ومعه عمرو بن براق الفهرى على بجيلة فأطردا ابلا لها ، ونذرت بهما[2] ، بجيلة ، فخرجت فى آثارهما ، ومضيا هاربين فى جبال السراة وركبا الحزن فعارضتهما بجيلة فى السهل حتى بلغت ماء فى الطائف لعمرو بن العاص ، فدخلوا لها فى العين ، وكانا قد جاءا الى العين وقد بلغ العطش لها منهما فلما وقفا عليها قال تأبط شرا لابن براق وكان رفيقه فى الفتك والعدو — أقل من الشرب فانها ليلة عدو، فقال وما يدريك فقال : «انى لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمى وكان من أسمع العرب وأرهفهم أذنا — فقال له ابن براق : ذلك وجيب قلبك ، فقال : تأبط شرا والله ما وجب قط ولا كان وجابا وضرب بيديه على قلبه ثم اصاخ نحو الأرض يستمع فقال والذى أعدو بطيره : انى لأسمع وجيب قلوب الرجال فقال له ابن براق فانى أنزل قبلك ونزل الى الماء فشرب وكان القوم عند بجيلة فتركوه وهم فى الظلمة ونزل تأبط شرا ، فلما توسط الماء وثبوا عليه فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفا ، وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه ، فقال لهم تأبط شرا ، انه من أصلف الناس وأشدهم عجبا بعدوه وسأقول له : استأسر معى فسيدعوه عجبه الى أن يعدو بين أيديكم وله ثلاثة أطلاق ، أولها كالريح الهابة والثانى كالفرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويعثر فاذا رأيتم ذلك منه فخذوه ، فأنا أحب أن يصير فى أيديكم كما صرت اذ خالفنى ولم يسمع نصحى ، وذلك أجمع بمسمع منى قالوا فافعل ، فصاح به تأبط شرا :

---

(١) مختار الأغانى ص ١٥٢ الجزء الثانى تحقيق عبد الستار فراج المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٥م .
(٢) نذرت : علمت فحذرته واستعدت له .

أنت صاحبى فى الشدة والرخاء وقد وعدنى القوم أن يمنعوا على وعليك معا ، فاستأسر وأوسنى بنفسك فى الشدة كما كنت أخى فى الرخاء فضحك ابن براق وعلم أنه قد كادهم وقال : مهلا يا ثابت أيستأسر من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا فعدا أول طلق كالريح الهابة كما وصف لهم ، والثانى كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويعثر على وجهه فقال ثابت خذوه ، فعدوا بأجمعهم ، فلما أن نفسهم عنه شيئا عدا تأبط شرا فى كتافه ، وعارضه ابن براق فقطع كتافه وأفلتا جميعا فقال تأبط شرا قصيدته المشهورة :

يا عيد مالك من شوق وابراق	ومر طيف على الأهوال طراق
يسرى على الأين والحيات محتفيا	نفسى فداوك من سار على ساق[٣]
طيف ابنه الحر اذا كنا نواصلها	ثم اجتنبت بها من بعد تفراق
لتقرعن على السن من ندم	اذا تذكرت يوما بعض أخلاقى
تا لله آمن أنثى بعد ما حلفت	أسماء بالله من عهد وميثاق
ممزوجة الود بينا واصلت صرمت	الأول اللذ مضى والآخر الباقى
تعطيك وعد أمانى تغر به	كالقطر مر على صخبان براق[٤]
انى اذ اخلة ضنت بنائلها	وأمسكت بضعيف الحبل أحذاق[٥]
تموت منها نجائى من بجيلة اذ	القيت للقوم يوم الروع أرواقى[٦]

ومما يشبه الأساطير — ولكن تغنيك منه طرافته — ما رواه الأغانى منسوبا الى ابن حبيب وابن عمرو قالا :

كان تأبط شرا يعدو على رجليه وكان فاتكا شديدا ، فبات ليلة ذات ظلمة وبرق ورعد فى قاع يقال له مرحى بطان ، فلقيته الغول فمازال يقاتلها ليلته الى أن أصبح وهى تطلبه قال : والغول سبع من سباع الجن وجعل

(٣) الاين : الحية أو الذكر من الحيات ، والاين ايضا التعب والاعياء ، ومحتفيا : حافيا .
(٤) الصخبان : الشديد الصخب .
(٥) حبل أحذق : اخلاق كانه قطع .
(٦) القى ارواقه : اشتد عدوه انظر مختار الأغانى ج ٢ ص ١٥٥ والأغانى ص ١٢١ ج ٢١ .

يراوغهـا وهى تطلبه وتلتمس غرة منه فلا تقدر عليه الى أن أصـبح فقال تأبط شرا فى ذلك :

ألا من مبـلغ فتيـان فهـم بمـا لاقيت عند رحى بطـان
بأنى قد لقيت الغـول تهـوى بسهب كالصـحيفة صـحصحان
فقلت لهـا كـلانا نضـو أين[٧] أخـو سـفر فخلى لى مكـانى
فشـدت شـدة نحوى فأهـوى لهـا كفى بمصـقول يمـانى
فأضربهـا بلا دهش فخـرت صريعـا لليـدين وللجـران
فقالت عد فقلت لهـا رويـدا مكـانك اننى ثبت الجنـان
فلم انفـك متكئـا عليهـا لأنظـر مصـبحا ماذا أتانى
اذا عينـان فى رأس قبيـح كراس الهر مشـقوق اللسـان
وسـاقا مخدج وشـواة كلب وثوب من عبـاء أو شـنان[٨]

وقيل لتأبط شرا هذه الرجال غلبتها فكيف لا تنهشك الحيات فى سراك فقال : انى لا أسرى البردين يعنى آخر الليل وأوله لأنها فى أول الليـل تمور خارجة من حجرتها وآخر الليل تمور مقبلة اليها[٩] .

وتأبط شرا يقدم ــ اذا كان الاقدام عزما ويحجم اذا كان الاحجام حزما ، فاذا كانت الثانية برر تأبط شرا لفراره وعلل لهزيمته كما علل عامر ابن الطفيل فراره ، وبرر الأعلم هزيمته من خصومه للحجج التى ذكرها فاذا اضـطرته الظروف الى الفرار وترك رفيقا فى المعـركة تعـلل بأنه لا يسـتطيع أن يثبت وينتظر حتى يدهمه مطـاردوه الذين كانوا خلفه كالنحل ، ولا أن يبطىء حتى تصيبه السـهام ، ثم يرجع الى ذكر عذره الذى حمله على الفرار وهو الفزع من الموت على أيدى هؤلاء الأعداء يقول على لسان زوجته وقد لامته فى ذلك :

الا تلكما عرسى منيعـة ضـمنت من الله اثما مسـتسرا وعالنـا
تقول تركتم صـاحبا لك ضـائعا وجئت الينـا فارقا متبـاطنا

---

(٧) نضو : ضعيف ، والأين : التعب .
(٨) أنظر الأغـانى ج ٢١ ص ١٥٢ تحقيق عبد الستار فراج دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م .
(٩) نفس المصدر : ص ١٤٧ .

ولم انتظـر أن يدهمونى كأنهم ... ورائى نحـل فى الخلية واكنـا
ولا أن تصـيب النافذات مقاتلى ... ولم أك بالشـد الذليق مداينا[١٠]
فأرسـلت مثنيا عن الشر عاطفا ... وقلت تزحزح لا تكـونن خائنـا
وحتحثت مشـعوف النجاء كأنى ... هجف أتى قصرا سمالا وداجنا[١١]
فزحزحت عنهم أو تجئنى منيتى ... بغبراء غرماء تغرى الدفائنا[*]
كأنى أراهـا الموت لادر درهـا ... اذا مكنت انيـابها والبراثنـا

وأيام هذا الصعلوك مقسومة بين قتال مع الأعداء للغزو والفتك — ويوم اقامة مع النساء وملاعبة الغيد الأماليد الحسان يقول فى ذلك :

ألا عجب الفتيـان من أم مالك ... رأيتـك براق المفـارق أيسرا
فقلت لهـا يومـان يوم اقامة ... اهز به غصنا من البان أخضرا
ويوم أهز السيف فى جيد أغيد ... له نسوة لم تلق مثلى انكـرا
دنـوت له حتى كأن قميصـه ... يشرب من نضح الأخادع عصفرا[١٢]
فمن مبـلغ ليث بن بكر بأننـا ... تركنا أخاهم يوم قرن معفرا[١٣]

وقد قال هذه القصيدة فى عامر بن الأخنس الفهمى وكان قد غزا فى نفر بضعة وعشرين رجلا منهم عامر وكان سيدا فيهم وكان اذا خرج فى غزى[١٤] رأسهم وكان يقال له سـيد الصـعاليك ، فخرج بهم حتى باتوا على بنى نفاثة حى بنى عدى بن الدئل ممسـين ينتظرون أن ينام الحى ، حتى اذا كان فى سواد الليل مر بهم راع من الحى قد ترك ومعه ناقته يسوقها فبصر بهم بمكانهم ، فخلى ناقته وتبع ضراء الوادى[١٥]

---

(١٠) الشد : العدو ، والذليق : العاد الفروسية : ص ٩٢ — ٩٣ .

(١١) النجاء : الاسراع ، والمشعوف : من اصـيب قلبـه بذعر ، والهجف : الظليم ، والقصر : اختلاط الظلام والسمال جمع سملة وهى بقية المـاء فى الحوض ويكون الشاعر بهذا يصور فزع الظليم حين أخذ الظـلام يختلط والمطر يسقط ، أو حين رأى عند الظـلام ماء عنده صياد يتربص / الأغانى ج ٢١ ص ١٥٣ .

(١٢) الأخادع : جمع أخدع وهو عرق فى العنق ، والصدر : صبغ أصفر .

(١٣) قرن : موضع ، انظر الأغانى ج ٢٤ ص ٨٣٧٥ .

(١٤) الغزى : الغازى ، اسم جمع .

(١٥) الغراء : الشجر الملتف .

حتى جاء القوم فأخبرهم بمكان القوم وحيث رآهم ، فقاموا فاختاروا فتيان الحى وسلحوهم وأقبلوا نحوهم حتى اذا دنوا منهم قال رجل من النفاسيين ، والله قوسى بموترة فقالوا أوتر قوسك فوضع قوسه فوترها وقال تأبط شرا لأصحابه : اسكتوا ، واستمع ، فقال أتيتم والله قالوا وما ذلك قال أنا والله اسمع تمحيط[١٦] وتر قوس ، قالوا والله ما نسمع شيئا قال بلى والله انى لأسمعه يا قوم ، النجاء ، قالوا والله ما نسـمع شـيئا ، فوثب فانطلق وتركهم ووثب معه نفر ، وبيتهم بنو نفـاثة فلم يفلت منهم انسـان وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس ، فلمـا رجع تأبط شرا قالت له امرأته : تركت أصحابك ؟ فأنشد قصيدته السابقة •

مقتـله :

ولما رجـع تأبط شرا وبلغـه ما لقى أصـحابه قال والله ما يمس رأسى غسل ولا دهن حتى أثأر بهم — فخرج فى نفر من قومه ، حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى جبل ، فقال : اغتنموا هذا البيت أولا قالوا والله ما لنا فيه أرب ، ولئن كانت فيه غنيمة ما نسـتطيع أن نسوقها فقال انى اتفاءل أن أنزل ، ووقف وأتت به ضـبع من يسـاره فكرهها وعكف على غير الذى رأى ، فقال أبشرى أشـبعك من القوم غدا فقال له أصحابه ويحك ! انطلق فوالله ما نرى أن نقيم عليها قال : لا والله لا أريم حتى أصبح ، وأتت به ضـبع عن يساره ، فقال أشـبعك من القوم غدا فقـال أحـد القوم والله انى أرى هاتين غدا بك فقال : لا والله لا أريم حتى أصبح ، فبات حتى اذا كان فى وجه الصبح ، وقد رأى أهل البيت وعدهم على النار ، وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتلم ، وغدوا على القوم ، فقتلوا شـيخا وعجوزا وحازوا جاريتين وابلا ثم قال تأبط شرا : انى رأيت معهم غلاما فأين هذا الغلام الذى كان معهم ؟ فأبصر أثره فاتبعه فقال لـ أصحابه ويلك ! دعه فانك لا تريد

---

(١٦) محط القوس : امر عليها اصابعه للاصلاح •

اليه شيئا ، فاتبعه واستتر الغلام بقتادة[١٧] الى صخرة ، وأقبل تأبط شرا يقصه ، وفوق الغلام سهما حين رأى انه لا ينجيه شيء وأمهله حتى اذا دنا قفز قفزة فوثب على الصخرة وأرسل السهم ، فلم يسمع تأبط شرا الا حركة وصوتا فرفع رأسه فانتظم السهم قلبه واقبل نحوه وهو يقول لا بأس ! فقال الغلام : لا بأس ! والله لقد وضعته حيث نكره وغشيه تأبط شرا بالسيف ، وجعل الغلام يلوذ بالقتادة ، ويضربها تأبط شرا بحشاشته[١٨] فيأخذ ما اصابت الضربة منها حتى خلص اليه فقتله ثم نزل الى أصحابه يجر رجليه فلما رأوه وثبوا ولم يدروا ما أصابه فقالوا : ما لك ؟ فلم ينطق ومات فى أيديهم ، فانطلقوا وتركوه فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر الا مات ، فاحتملته هذيل فألقته فى غار يقال له غار رخمان[١٩] فقالت ريطة أخته وهى يومئذ متزوجة من بنى الدئل ترثيه :

نعم الفتى غادرتم برخمان　　بثابت بن جابر بن سفيان

وقالت أمه ترثيه :

وابناه وابن الليل ، ليس بزميل[٢٠] ، شروب للقيل[٢١] وواد ذى هول ، أجزت بالليل تضرب بالذيل[٢٢] .

---

(١٧) قتادة : شجرة شائكة .
(١٨) بقية نفسه .
(١٩) رخمان موضع فى ديار هذيل .
(٢٠) جبان . والزميل : الجبان .
(٢١) القيل : اللبن الذى يشرب نصف النهار يطلق على الرجل دقيق الخصر لكونه يتناوله .
(٢٢) انظر كتاب الأغانى ٨٣٨٠ كذا فى شرح اشعار الهذليين ص ٨٤٣ .

السليك بن السلكه

وهو منسوب الى أمه سلكة ، واسم أبيه عمرو بن يثربى ويقال عمير وهو من بنى كعب بن سعد بن مناة بن تميم وهو أحد أغربة[٢٢] العرب ، وهجنائهم وصعاليكهم ، ورجيلائهم وكان له بأس ونجدة ، وكان أدل الناس بالأرض ، وأجودهم عدوا على رجليه ومن أقوالهم المأثورة فيه « أعدى من السليك وأمضى من سليك المقانب ، وأدل من قطأة[٢٣] — وكان السليك فارسا شجاعا فهو من الأبطال المقدمين فى الجاهلية، يتهيب الفرسان جانبه، ويحذرون لقاءه فعمرو بن معد يكرب على شجاعته يقول عنه : ما أبالى من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقنى حراها وهجيناها — يعنى بالحرين : عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث ، وبالعبدين : عنترة ، والسليك بن السلكه ويصفه عمرو قائلا : « انه بعيد الغارة كالليث الضارى » .

قال له بنو كنانة حين كبر « ان رأيت أن ترينا بعض احضارك فقال اجمعوا لى أربعين شابا وابغونى درعا ثقيلة ، فأخذها فلبسها ، وخرج الشباب حتى اذا كان على الناس ميل ، أقبل يحضر ، فلاث العدو لوثا[٢٤] ، واهتبصوا[٢٥] فى جنبتيه فلم يصحبوه الا قليلا ، فجاء يحضر مستترا حيث لا يرونه ، وجاءت الدرع تخفق فى عنقه كأنها خرقة[٢٦] .

والسليك كان فارسا وشجاعا غير متهور كربيعة بن مكدم ، بل كان حسن التروى كثير الأناة والاحتياط يتفحص مخارج الأمور قبل مداخلها ، ولا يعدم حيلة يتقى بها ، لينقذ نفسه حين تزل رجله فى المهالك ، يخزن الماء فى عرض البرارى المقفرة مؤونة له فى غاراته

---

(٢٣) اغربة العرب : سودانهم شبهوا بالاغربة فى لونهم .

(٢٤) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٧٣ تحقيق احمد شاكر الطبعة الثالثة . وخزانة الأدب (بولاق) ١٧/٢ لسان العرب ١١٧ .

(٢٥) لاث العدو لوثا : طواه طيا .

(٢٦) اهتبصوا من الهيص وهو النشاط والعجلة والفعل اهتبص لم يذكر فى المعاجم .

البعيدة ، متخذا خزانات غريبـة النوع لم تخطر لأحد قبـله على بال ، كان عندما يأتى الربيع بأمطاره الغزيرة يعمد الى بيض النعام ، فيجمع منه عددا كثيرا ثم يرضخه ويفرغ ما فيه ، ثم يملؤه ماء ، ويطبق شقيه بعضهما على بعض ، ويحمله معه وهو مغير على اليمن فيدفنه فى المفاوز البعيدة العطشى ، فاذا جاء الصيف ، وانقطعت الغارات لقلة الماء وشدة الحر ، بقيت غزوات السليك متواصلة لا تنقطع ، بفضـل تلك الخزانات الاحتياطية التى زرعها فى الرمال .

وكان لخبرته بمسالك البادية لا ينسى المواضع التى دفنها فيها ، فيأتى البيضة حتى يقف عليها ويخرجها من مكانها وكان يتحوط للأمور فى غاراته فما ينزل مراعى قوم ليطرد نعمهم الا بعد أن يتبين بعد مضاربهم لهم وقربها لئلا يلحقه الطلب يروى صاحب كتاب الشـعر والشـعراء « أن خصاصة شـديدة اصابته فخرج على رجليه رجاء أن يصـيب غرة من بعض من يمر عليه ، فيذهب بابله حتى اذا أمسى فى ليلة من ليـالى الشتاء قرة مقمرة اشتمل الصماء ونام ، فبينما هو كذلك جثم عليه رجل فقال : « استأسر ، فرفع سليك رأسه » فقال : « ان الليل طويل وانك مقمر ! فذهبت مثلا » ، وجعـل الرجـل يلهزه ويقـول يا خبيث « استأسر » فلم يعبأ به فلما آذاه ضمه سـليك ضـمة ضرط منها وهو فوقه ، فقال سليك « أضرطا وأنت الأعلى »[٢٧] فذهبت مثلا ثم قال له ما شأنك فقال : أنا رجل فقير خرجت لعلى أصيب شأنا ، قال : انطلق معى ، فخرجا فوجدا رجلا قصته (مثل) قصتهما ، فأتوا جوف مراد وهو باليمن فاذا فيه نعم كثير فقال سـليك لهما : كونا قريبا منى حتى آتى الرعاء فأعلم لكما علم الحى أقريب أم بعيد ، فان كانوا قريبا رجعت اليكما ، وان كانوا بعيدا قلت لكم قولا أومىء اليكمـا به فأغـيرا على ما يليكما ، فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل يتسـقطهم حتى أخبروه بمكان الحى فاذا هو بعيد اذا طلبهم لم يدركهم فقال السـليك للرعاء الا أغنيكم قالوا : بلى ، فرفع عقيرته يتغنى :

---

(٢٧) الشعر والشعراء ص ٣٧٢ ج ١ .

يا صـــاحبى ألا لاحى بالوادى   سوى عبيد وآم[٢٨] بين أذواد
أتنظـــران قريبـــا ريث غفلتهم   أم تعدوان فان الريح للعادى[٢٩]

فلما ســـمعا ذلك أطردا الابل فذهبا بها[٣٠] ولقد كان من الجســـارة بحيث ينحى رفيقيه عند الغارة ليكون صاحب الوثبة على نحو ما فعل فى احدى غاراته فقد زجر الابل وساقها الى حيث رفيقيه بعد أن أطاح برأس صاحبها بل ان أصحابه كثيرا ما كانوا ينصرفون عنه فى الغارات خوفا من العطش ما عدا رجلا يقال له صرد فقد خرج مع السليك يريدان اليمن حتى اذا اقتربا من أحياء مراد وخثعم ضلت ناقة صرد فى جوف الليل ، فانطلق يطلبها ، فلما أصبح شد عليه أناس من خثعم فأسروه فعرفوا منه أن السليك قريب منهم مغير عليهم فتلاحق الفرسان للقائه يتقدمهم قيس بن مكشوح ، فحمل عليهم السليك بمن معه ، فاقتتلوا اقتتالا شديدا ثم كشـــفهم وأسر فارسهم قيسا وغنم وسبى وأنقذصردا من الأسر ولم يحتملصرد ذل الأسر والنكاية به فبكى فقال سليك :

بكى صرد لما رأى الحى اعرضت   مهـــامه رمل دونهم وســـهوب
فقلت له لا تبـــك عينـــك انهـــا   قضـــــية ما يقضى لهـــا فتؤوب
ســـيكفيك فقد الحى لحم مغرض   وماء قدور فى الجفان مشـــوب[٣١]

وكان لحذره وترويه يعطى عبد الملك بن مويلك الخثعمى اتاوة من غنائمه على أن يجيره حين يلجأ اليه فى ورطة فتسنى له بذلك أن يتجاوز بلاد مـــراد وخثعم الى من وراءهـــم من أهل اليمن ، فينقض عليهـــم ويغزوهم ويعود غانما آمنا ، ولا يســـتنكف الســـليك على شـــجاعته وفروسيته أن يطلب جوار النساء ، ليتخلص من تهلكة وقع فيها ولم يقو على دفعها ، وجوار المرأة محترم عند العرب مع ضعفها وضعة شـــأنها ينافح عنه أبوها وأخوتها وزوجها كما ينافح كل منهم عن جواره — قال

---

(٢٨) مجمع الامثال ١ : ٣٦٨ — ٣٦٩ .
(٢٩) آم جمع آمة الى العشر فاذا زادت فاماء .
(٣٠) الريح هنا الغلبة والقوة .
(٣١) هذه القصـــة منقولة من امثال العـــرب للضبى ١٣ — ١٤ انظر الشعر والشعراء ص ٣٧٣ ج ١ .

أبو عبيدة : أغار السليك على بنى عوارا بطن من بنى مالك بن صبيعة فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته فقال شيخ منهم « انه اذا عدا لم يتعلق به شيء ، فدعوه حتى يرد الماء ، فاذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم به » فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه فلما علم انه مأخوذ جاملهم ، وقصـــد لأدنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لهـــا فكيهة فاستجار بها ، فمنعته وجعلته تحت درعها واخترطت السيف وقامت دونه فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها ، وصاحت باخوتها فجاؤوها ودفعوا عنه حتى نجا من القتل فقال السليك ذلك :

لعمر أبيـــك والأنبـــاء تنمى ... لنعم الجـــار اخت بنى عوارا

من الخفرات لم تفضـــح أباها ... ولم ترفع لاخوتها شـــــــــنارا

فما عجـــزت فكيهة يوم قامت ... بنصل السيف وانتشلوا الخمارا[٣٢]

---

(٣٢) سرح العيون ٧٦ ، ماء القدور : المراد به المرق كانه يقول ستستغنى وتأكل اللحم بعد اللبن .

وانظر المحبر ٤٣٣ ، ٤٣٤ نقلا عن كتاب الشعراء السود د. عبده بدوى ص ٥٣ الهيئة المصرية ١٩٧٣ .

عنترة بن شـــــداد العبسى

أخذ عنترة نفســه بفنون القتــال وتمرس عليها وقد أورثه هذا التمرس خبرة استخدمها فى حروبه مع أعدائه ، وأكسبته شهرة عظيمة وجعلت منه فارسا مرموقا يتحدث عنه وتضرب بشجاعته الأمثال •

ولقد كانت حروب داحس والغبراء الميدان الفسيح الذى ظهرت فيه فروسية عنترة وشجاعته وأخباره فى هذا الحروب تقترن مع كثير من المواقع ، ولســنا نرى ذلك غريبا فشــاعرنا من فرســان القبيلة المعدودين وشــجاعتهم الذين دافعوا عن وجودهم ، كما دافعــوا عن قبيلتهم ، والقبيلة تخوض معركة ضارية لا يحق لفرد من أفرادها أن يتخلى عنها ، ان الحرب لا تأكل كل من يصطلى بنارها فحسب وانما تتناول كل من يمت بصلة الى المحاربين فاذا وقعت معركة يوم (الفروق) واصطدمت عبس بتميم ، ودارت رحى الحرب الطاحنة بينهما ، أقدم عنترة فى هذه المعركة وبذل الجهد والطاقة ، وقتل معاوية بن نزال ، وافتخر بقومه وفوزهم على بنى تيمم فى تلك المعركة ، وبين أسباب الظفر فقال حين ســئل كم كان قومه يوم الفروق « كنا مائة لم نكثر فنتكل ولم نقــل فنذل[1] وهو تبيين العالم الخبير •

واذا حصلت معركة ذات الجراجر بين ذبيان وحليفاتها وبين عبسَ ، ودام القتال يومين ظهرت فى هذه الأيام شجاعة عنترة[2] • وأصــبح حديث القبيلة بما أبداه من بطولات ولما أرادت عبس النزول على بنى سليم حاول حذيفة بن بدر أن يمنعها فلحق بها ، ووقعت معركة ضارية انهزمت فيها بنو عبس وفروا ولكن عنترة ظل واقفا دون النساء ، يدافع عنهن حتى عادت الخيل واحتدمت المعركة من جديد وانهزم فيها حذيفة ورهطه[3] •

وحين أغارت طىء على بنى عبس والناس خلوف وعنترة فى ناحية من ابله على فرس له وأخبر بالخبر لم يتأخر عن النجدة ولم يتقاعس

---

(١) العقد الفريد ١/١٠٤ •
(٢) الكامل لابن الأثير ١/٢١٠ •
(٣) شرح ديوان عنترة للأعلم •

عن المعركة بل كر وحده ، واستنقذ الغنيمة من أيديهم وأصاب رهطا ثلاثة أو أربعة[٤] .

والأخبار بعد ذلك عن فروسيته وشجاعته كثيرة وهى تلتقى فى مجملها فى نقطة واحدة ، وهى أن هذه الفروسية لم تكن عبثا عند عنترة ، وانما هى نتيجة الخبرة الطويلة التى اكتسبها فى القتال ، والتى اكسبته شهرته « قيل لعنترة : أنت أشجع الناس وأشدها ؟ ! ! قال : لا قيل : فبم شاع لك كل هذا فى الناس ؟ قال : كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ، وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا أدخل موضعا لا أرى منه مخرجا وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله[٥] .

واضح ان هذه الخبرات التى عرضها هى التى تكسب النصر ، وتعلى الذكر ، فالنصر يجب أن يقترن بالسلامة ، أما اذا مات صاحبه فكيف يحوزه ؟ والشجاعة يجب أن تكون عزيمة وقوة وأن تكون تفكيرا وتقديرا ، والرجل العاقل هو الذى يحسن الخروج مما يدخل فيه ، ثم ان للحرب النفسية أثرها ، وتحطيم المعنويات أقوى من تحطيم القوى ، وهذا ما كان يصنعه فارسنا العظيم ، فهو يحطم معنويات الفرسان الشجعان بما يصنعه بالضعفاء الجبناء فسيتولى عليهم الجزع ويسهل عليه القضاء عليهم .

وقد بلغ من شهرة عنترة فى فروسيته أن هابته الفرسان والأبطال ، وحسبت له ألف حساب وخافت على نفوسها منه ، وهل أدل على ذلك من قول الفارس الشجاع عمرو بن معد يكرب رضى الله عنه « ما أبالى من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقنى حراها وهجيناها[٦] وهو يقصد بالحرين عامر بن الطفيل وعتبه بن الحارث ، وبالهجينين عنترة والسليك ابن السليكة .

---

(٤) شرح الديوان للأعلم .
(٥) الأغانى ١٤٤/٧ .
(٦) الأغانى ١٤٥/٧ ، ٢٧/١٤ والخزانة ٤٧٣/١ وشرح مقامات الحريرى .

والفروسية عند عنترة كثيرة الجوانب والمظـاهر فهو لا يضـع فروسـيته وشـجاعته دائما فى خدمة قبيلته ، بل قد يجعلها فى خدمة غيرها ، اذا اضـطرته الى ذلك الظروف ، وقد يغمز أحيـانا من بعض أفراد قبيلته معتمدا على فروسيته اذا حاول بعضهم أن يغض من قدره ، وقد يعدل عن القتال الى التهديد والوعيد ، وقد يجمع الى صورة البطولة صفات أخرى تتمم صورة الفارس البطل .

وبيان هذه الأمور يكمن فى أخبار نقلتها لنـا كتب الأدب ، فلقد حصل خلاف بين عنترة وقبيلته من أجل ابل أخذها من حليف لهم وأبى أن يردها عليه ، فرحل عن قبيلته وجـاور بنى جديله ، وحين حصـلت معـركة بين جديلة وبين ثعـل ، شـارك عنتـرة بجـانب حلفـائه متمسكا بروح الفروسية التى تقتضى اعانة الجار ومساعدته ونجدته ، فرجحت كفة جديلة ، واحتج بنو ثعل على صنيع عنترة لدى غطفان .

فهو فى هذا الخبر يسـتخدم فروسـيته وبطولته فى خدمة قبيلة جاورها ، فحفظ لها حق الجوار ومن أحق من الفارس الشـهم بحفظ الجوار ومساندة الجار ؟ ! وهو يعرض نفسه لأهوال المعركة ضـاربا المثل الأعلى فى الوفاء والاخلاص !

ولقد روى أبو عمرو الشيبانى أن عبسـا غزت بنى تميم وعليهم قيس بن زهـير فانهزمت عبس وطلبتهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة ولحقتهم كبكبة من الخيل فحامى عنترة عن الناس ، فلم يصب مدبرا ، وكان قيس بن زهير سيدهم فسـاءه ما صنع عنترة يومئذ فقال[7] : والله ما حمى الناس الا ابن السـوداء ومن الطبعى أن تبلغ هذه الكلمـة عنترة ، وان يحس فيها برائحة الاحتقار والتذكير بالأصل الوضيع ، فتثور فيه ثائرة التحـدى ، وتنتفض فيه روح الفروسـية ، وتدفعه فروسيته وأنفته الى أن ينال من قيس ، وان يذكره بأفعاله المجيدة ، وخصاله الحميدة التى تغطى سواد الأم ووضاعة النسب فيقول له :

---

(٧) الأغانى ١٤٣/٧ زهر الآداب ج ١ ص ٢١٦ .

ولقد أبيت على الطـوى وأظله   حتى أنال به كـــريم المأكل
واذا الكتيبه أحجمتوتلاحظت[٨]   ألفيت خـيرا من معم مخـــول
والخيــل تعلم والفوارس أننى   فرقت جمعهم بطعنة فيصـــل
اذ لا أبادر فى المضـيق فوارسى   ولا أوكل بالرعيـــل الأول[٩]
ولقـد غـدوت أمام راية غالب   يوم الهيــاج وما غدوت بأعزل

وعنترة فى هذا فارس بنى عبس الذى تتمثل فى شـخصه بطولة الفارس الحربية ، وترتفع فى نفســه العفة والكرامة ، فالجوع المميت والمســتديم ليل نهار يطويه الفارس ويقنع به حتى ينال المأكل الكريم الخالى من العيوب والمثــالب ، وهو المقدم فى أهــوال الحرب مقتحمــا مصائبها فى الوقت الذى يحجم بقية الفرســان ويزور الجبان المذعور لشدتها وهولها ثم ترمق عيون الأبطال باجلال الفارس الحامى ليشــد الجموع ويلم الفرسان وهناك يقف الصامد ويثبت الشجاع فيستمد من نســب أمه الذى يطعن به القوة والجلد والاندفاع لاثبات علو نســبه وأصالة فروســيته ، وهو كما يعلمه الفرســان تعلمه الخيول لأنه أذاق فرسانها المرارة والبطش فتميزت علاماته ووضحت شــخصيته لأنه فى مقدم الرعيل وعلى رأس الكتيبة لا يعرف التواكل ولا الهزيمة وانما هو الذى يحمى القوم ويدفع عنهم الذل والهوان[١٠] .

وقد أشرب عنترة الشجاعة والفروسية واختلطا حتى فى حبه لعبلة ، فنراه يمزج الغزل بالحرب والمنازلة وغزله فى هذا الموطن أفضــل غزل قاله شاعر ، لأنه يمثل عنفوان حبه مختلطا بجهاده ونضاله ذلك الجهاد الذى خاضه لأجل أن يثبت شخصيته البطولية ، ويبدو فيه أثر العراك بين حبه ، وسواد لونه وضــعة نسبه ونرى محبوبته ترافقه فى فخره

---

(٨) تلاحظت : نظر الأبطال بلحاظ عيونهم الى البطــل الحامى . معم مخــول بصفتى اســم الفاعل والمفعول كريم الأعمــام والأخــوال والفيصل ، الفاصل بين القوم المفرق لجموعهم .

(٩) البيت هكذا بالديوان وهو غير مستقيم الوزن فى عجز البيت وربما كان هكذا .

اذ لا ابادر فى المضيق فوارسى   اولا او كــل بالرعيــل الاول

(١٠) الأعلم : مختار الشعر الجــاهلى ٣٨٨/١ والفروســية نورى حمودى العيسى مكتبة النهضة بغداد ٢٧ .

وحماسته وذكر حروبه ، وهو يفتخر ويغامر من أجلها واذا لم يكن نديه من جمال الصورة وكرم المحتد ما يشفع به اليها أفلا يسعى لارضائها بوصف شجاعته ، وسخائه وعفته ، وذكر وقائعه ومشاهده حتى اذا قرن اسمها باسمه فى المجالس تستطيع أن ترفع رأسها به :

اثنى على بمـــا علمت فاننى ... سـمح مخالقتى اذا لم أظـلم
فاذا ظلمت فـان ظلمى باسـل ... مر مذاقتـــه كطعم العـلقم
ولقد شربت من المدامـه بعد ما ... ركد الهواجر بالمشـوف المعلم
فاذا شربت فاننى مسـتهلك ... مـالى وعرضى وافـر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى ... وكما علمت شـمائلى وتكرمى

بمثل هذا الشعر يبدع عنترة لأنه يصور نفسيته أبلغ تصـوير ، ويعطينا طرازا فاخرا من غزل الفرسان ، وكيف تجتمع فيه ألفاظ الحب بألفاظ الحرب فنراه يعرض على عبلة لتشهد مآتيه فى مبارزة الأبطال أو مزاحفة الجيوش :

هلا سـألت الخيل يا ابنة مالك ... ان كنت جاهـلة بما لم تعلمى
يخبرك من شـهد الوقيعة اننى ... أغشى الوغى وأعف عند المغنـم

ويصـف لها الفارس الذى يبارزه ، فاذا هو بطل تتحاماه الأبطال خشية لقائه وكريم طيب المحتد من أولئك البيض الأحرار الذين يفاخرون بأصلهم ونسبهم ، فيظهر فضـله فى التغلب عليه ، وهو العبد الأسـود المغموز النسب .

ومدجـج كـره الكمـاة نزاله ... لا ممعن هـربا ولا مسـتسـلم
جادت له كفى بعـاجل طعنـة ... بمثقف صـدق الكعوب مقوم
فشككت بالرمح الأصـم ثيابه ... ليس الكـريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشـنه ... يقضمن حسن بنانه والمعصـم

ففى قوله « الكريم » ، وحسن بنانه والمعصـم ، دلاله على محتد الفـارس ونعمته وبياض لونه ويصـف معـاركة ، فاذا هى ملاحـم تتشابكفيها الأبطالشاكية هولها بغماغملا تفهم، وبنو عبس يتقونبه رماح الأعداء ، فما يرتد عنها ، وان ضاقت عليه فسحة الاقدام ، والاعداء تلهج باسمه مشرعة رماحها الى صـدر جواده ، فاذا هو ركن المعمعة وقوامها

وحجر رحاها وثفالها وفى المعلقة وصف جميل لهذه المعارك التى يعرضها عنترة أمام عبلة صـــورا سريعة تبـــدو فيها بطولتـــه بارزة الخطـــوط والألوان وكذلك قصيدته التى يقول فى مطلعها :

عجبت عبيـــلة من فتى متبـــذل عارى الأشاجع شاحب كالمنصل

تشتمل على تلك الخصائص التى يتميز بها شـــعر عنترة فى الغزل المقترن بالحماسة (غزل الفرسان) فقد نظرت عبلة الى عنترة ذات يوم فرأته قليل اللحم ، شاحب اللون كالسيف ، متشعث الشـــــعر ، بالى القميص ، لم يتطيب منذ سنة ولم يمشط شعره ، لا يرتدى كسوة غير درعه فظهر صدأ الحديد على جلده لأنه لم يغتســـل فتضـــاحكت عجبا وقالت قولة :

لا خير فيك كأنها لم تحفل

فعجب عنترة منها كيف مالت بعينها عن ماجد مثله طلق اليدين كريم مســـماح طويل القامة ، والعرب تتمدح بالطول فقـــال لها لا تقاطعينى يا عبلة ، فكم من فتاة أملح منك دلالا ، وأشهى منظرا جاءت الى تطلب مواصلتى ، لأننى أهل لمحبتها فوصلت حبلى بحبلها ، يا عبل كم من حرب تغمر الفرسان بشدائدها ، باشرتها بنفسى فكشفت غمتها ، وما كادت وحقك تتكشـــف فيها من الســـيوف والرماح اللوامع ما لو رأيت كثرته لسلوت التبرج بعد حبك للخضـــاب والتكحل ، ولئن ترينى نحيلا قليل اللحم فمن يكن مثلى هدفا لأســـنة الرماح فلابد له من أن يهزل ، ورب فارس أبيض اللون بادن مثل زوجك كثير اللحم ضخم على ظهر جواده ، تركته على التراب معفرا ، والأعداء بين جريح وقتيل حقا انه بطل شجاع لقيت الموت يوم لقيته لابسا درعه ولكى ســـيفى كان عاريا ، هو ســـيف صلب أشق به الجماجم فى الحرب وأقول سلمت يد صانعه .

فهذه القصـــيدة وحـــدة مترابطـــة الاجزاء بما فيها من غزل مازجه العتاب ، وفخر تتخلله الحماسة ، فعنترة بين الحب والحـــرب شـــأنه بين العبودية والفروسية ، يدافع عن نفسه مظهرا شجاعته وحسن خصاله ، وتفوقه على الأحرار ، لئلا تعتز عبلة بزوجها البادن الذى لم تنهك جسمه الأسفار ، لما هو عليه من نعمة تغنيه عن الغزو ، وركوب المصـــاعب طلبا

للكسب والحياة ، فتحسبه أفضل من فارسها الأسود القليل اللحم الشاحب اللون ، فكم بطش عنترة بفارس مثله من البيض البادنين ، وتركه صريعا متعفر الأوصال ، ولا يغفل أن يذكر لها تصدى النساء الجميلات له خاطبة وده على سواد جلده وهزال جسمه ، فالكفاح الذى شاهدناه قويا عنده بين العبودية والفروسية صورة للدفاع عن لونه ونسبه ، نشاهده الآن على قوته بين الحب والحرب ، صورة أخرى لمأساته الغرامية[11] يقول مصورا ذلك :

فعجبت منها كيف زلت عينها ... عن ماجد طلق اليدين شمردل
لا تصرمينى يا عبيل وراجعى ... فى البصيرة نظرة المتأمل
فلرب أملح منك دلا فاعلمى ... وأقرفى الدنيا لعين المجتلى
وصلت حبالى بالذى أنا أهله ... من ودها وأنا رخى المطول[12]
يا عبل كم من غمرة باشرتها ... بالنفس ما كادت لعمرك تنجلى
فيها لوامع لو رأيت زهاءها ... لسلوت بعد تخضب وتكحل
اما ترينى قد نحلت ومن يكن ... عرضا لأطراف الأسنة ينحل
فلرب أبلج مثل بعلك بادن ... ضخم على ظهر الجواد مهبل[13]
غادرته متعفرا أوصاله ... والقوم بين مجرح ومقتل
ولقد لقيت الموت يوم لقيته ... متسربلا والسيف لم يتسربل[14]
بطلا اشق به الجماجم فى الوغى ... وأقول : لا تقطع يمين الصيقل[15]

ان الشجاعة التى تبرز عند عنترة ، نابعة من فلسفته التى آمن بها كل الايمان ، فالموت لابد منه ، ومادام الانسان يموت فالأجدر به أن تكون ميتة فى الحرب ، لأنها أولى من غيرها لما فيها من الايثار وعلو الذكر[16] .

تعالوا الى ما تعلمون فاننى ... أرى الدهر لا ينجى من الموت ناجيا

---

(١١) الشعراء الفرسان ص ١٨٠ .
(١٢) المطول : الحبل .
(١٣) مهبل : كثير اللحم ، ابلج : ابيض .
(١٤) متسربلا : مدرعا .
(١٥) الصيقل : صانع السيف .
(١٦) الأعلم : مختار الشعر الجاهلى ٢٨٥ .

ان هـذه الفلسـفة التى مثلها عنترة لم تكن غريبـة عن بيئته ، ، أو بعيدة عن طبيعة الحياة التى يحياها ، فهى مسـتمدة من الجذور الأصيلة التى تفرعت فى نفسه ، فكانت تلك القصائد الخالدة التى تغنت بها الأجيال :

بكرت تخوفنى الحتـوف كأننى	أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتهـا ان المنيـة منهـل	لابد أن أسـقى بكأس المنهـل
فاقنى حيـاءك لا أبالك وأعلمى	انى امرؤ سـأموت ان لم أقتل
ان المنيـة لو تمثـل مثـلت	مثلى اذا نزلوا بضـنك المنزل

لقد كان عنترة فارسا وشجاعا تمثلت شجاعته فى اخباره ، وتحشدت بطولته فى أحاديث الرواة عنه ، فقد خاض الحروب وأظهر فيها بطولات نادرة ، ودافع خلالها عن قبيلته ، وسجل لها أروع الصفحات فى تاريخ القبائل العربية وخلد لها أروع الذكريات فى صفحات المجد العربى .

وبعد كل هذا يخلص عنترة من كل معاركه بعبارة البطل المنتصر الذى تهدر ممارسـة الحروب قوته ، أو تفت فى عضـده ، ولكن طـول السـنين ومرور الأيام هى التى اضـعفته وأوهت قواه ، فظل يعيش أمجاد البطولة ويتذكـر أيامه الخـالدة فى التـاريخ ، وهو واثق كل الوثوق بأنه أنجز مهمته فى الحياة ، وقام بما تمليه عليه طبيعة الحياة التى عاشـها ونظام العصر الذى وجد فيه ، فكان حقا رمزا من رموز البطولة العربية النادرة وملحمة رائعة من ملاحم الشعر العربى[١٧] .

(١٧) الفروسية فى الشعر الجـاهلى ٢٧٩ — ٢٨٠ نورى حمودى بغداد .

الشـــعراء الشجعان

من الكرماء والأشراف

حــاتم الطــائى

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى ابن أخزم وأسمه هزومة بن ربيعة بن جرول بن عمرو بن العوث بن طيىء انما سمى هزومه لأنه شج أو شج ، وانما سمى طيىء طيئا لأنه أول من طوى المناهل[1] ، ويكنى حاتم أبا سفانة وأبا عدى ، كنى بذلك بابنته سفانة[2] وهى أكبر ولده ، وبابنه عدى بن حاتم •

وأم حــاتم غنية بنت عفيف بن عمرو بن امرىء القيس بن عدى بن أخزم ، وكانت فى الجــود بمنزلة حاتم ، وربما كانت أجود منه ، لا تدخر شيئا ولا يسألها أحد شيئا فتمنعه ، وكانت ذات يسار ، من أســخى الناس وأقراهم للضيف ، وكانت لا تمسك شيئا تملكه فلما رأى أخوتها ذلك حجروا عليها ومنعوها مالها فمكثت دهرا لا يدفع اليها شىء منه ، حتى اذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة[3] من ابلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها فى كل سنة تسألها ، فقالت لها : دونك هذه الصرمة فخذيها ، والله لقد عضنى من الجوع ما لا أمنع معه سائلا ابدا ثم أنشأت تقول :

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة	فآليت الا أمنع الدهر جائعــا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أعفنى	فان أنت لم تفعل فعض الأصابعا
فماذا عســاكم أن تقولوا لأختكم	سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وما ان ترون اليــوم الا طبائعــا	فكيف بتركى يابن أم الطبائعــا

فحــاتم كــريم الأبوين من ســلالة كريمــة ، والشىء من معدنه

(١) المناهل فى مخطوط المنازل : أنظر الأغانى ج ١٧ /٢٧٨ تحقيق عبد الستار احمد فراج .

(٢) ضبطت فى مخطوط بضم السين وفتح الفاء بدون تشديد أنظر اللســان مادة سفن .

(٣) صرمة : قطعة من المــال .

لا يستغرب ، فلا غرو اذا ضرب به المثل فى الكرم والفروسية والشجاعة والنجدة والمروءة ، فحديثه يتردد كلما ذكر الكرم ، وأخباره فى ذلك تتناقلها الألسن ، فهو كريم تضرب بكرمه الأمثال وهو فارس لأنه يمثل عناصر الشجاعة والفروسية والمروءة وهو انسان لأن عاطفته تمتد الى كل ضعيف ومعوز وأسير .

وانى لعف الفقر ، مشترك الغنى ... وودك شكل لا يوافقه شكلى
وشكلى شكل لا يقوم لمثله ... من الناس الا كل ذى نيقة مثلى(٤)
ولى نيقة فى المجد والبذل لم تكن ... تأنفها فيما مضى رجل قبلى

وقد وصفه ابن الاعرابى وصفا أحاط بجميع خلاله وفضائله فقال : « كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جوادا يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، وكان حينما نزل عرف منزله ، وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم أنهب ، واذا سئل وهب ، واذا ضرب بالقداح فاز ، واذا سابق سبق ، واذا أسر أطلق ، وكان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمه ، وكان اذا أهل الشهر الأصم الذى كانت العرب تعظمه فى الجاهلية ينحر كل يوم عشرة من الابل فاطعم الناس واجتمعوا اليه .

ويبدو أن حاتما كان مرزوقا فظفره فى غزواته كان يقبض له الغنائم ، وقد يأتيه رزقه أحيانا وهو نائم ، ولا يدرى من أين ؟ روى يعقوب بن السكيت ما يشبه الأسطورة قال فيها « بعد أن انهب مال حاتم وهو نائم ، اذ انتبه وحوله مائتا بعير أو نحوها ، تجول وتخطم بعضها بعضا ، فساقها الى قومه ، فقالوا يا حاتم : ابق على نفسك ، فقد رزقت مالا ، ولا تعودن الى ما كنت عليه من الاسراف قال فانها نهبى بينكم فانتهبت فأنشأ حاتم يقول :

تداركنى جدى بسفح متالع ... فلا ييأسن ذو نومة أن يغنما

ولا تقل بطولته فى الحرب عن بطولته فى العطاء وهو يقرن فى شعره الكرم بالشجاعة ، لأنهما صفتان متلازمتان فى نفسه ، فيتحدث عن قرى الضيف فى ثنايا حديثه عن الطعن والقتال :

---

(٤) ارجع الى الديوان ص ١٠٩ ، والنيقة : ارفع مكان فى الجسم بقصد علو المقام والرفعة .

اذا مات منـا سيد قام بعـده نظـير له يغنى غنـاه ويخلف
وانى لأقرى الضيف قبل سؤاله وأطعن قدما والأسـنة ترعف[٥]

وهو يتوسـد أحيانا جفن سـيفه ، وحينا يلقى جنبه الى الأرض اليابسة الصلبة ولا يتوسد شيئا ، يصـور ذلك فى قصـيدته التى عنوانها « وسادى جفن السلاح » :

وخرق كنصل السيف قد رام مصدقى
تعسـفته بالرمح والقوم شـهدى[٦]

فخـر على حـر الجبين يضربة
تقط صفاقا عن حشـا غير مسـند[٧]

فما رمتـه حتى تركت عويصـه
بقية عـرف يحفـز الترب مذود[٨]

وحتى تركت العـائدات يعـدنه
ينـادين لا تبعـد وقلت له ابعـد[٩]

أطافوا به طوفين ثم مشـوا به
الى ذات الجاف بزخـاء قردد[١٠]

ومرقبـة دون السـماء طمـرة
سبقت طلوع الشمس منها بمرصد[١١]

---

(٥) حماسة ابن الشجرى ص ١٥ والبيت الأول فى حماسة الى تمام .
(٦) الخرق : الكريم السخى مصدق : مصدر ميمى من صدقة بمعنى صرفه ومعنى تعسفته : آخذته بقوة الديوان ص ٥٠ تحقيق كرم بستانى .
(٧) تقط : تقطـع ، الصفاق : الجلد الأسفل الذى يمسك البطن ، مسند : موثق .
(٨) عويصه : نفسه ، شدته . بقية عرف : اى تركه يكاد لا يعرف .
(٩) ابعد : اهلك .
(١٠) أطافوا : اى احاطوا به . الجاف حفر واراد به اللحد ، زخاء : موضع ، القردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .
(١١) المرقبة : المكان المرتفـع الذى يراقب منه الطمرة : الطمور . وهو الوثوب فى السماء والمكان المرتفع ، المرصد : المكان الذى يرصد منه والرصد : القعود لآخر للايقاع به

وســادى بها جفن الســلاح وتارة

على عدواء الجنب غير موسـد[١٢]

ومن أول مظاهر فروسـيته وبطولتها تركه لوارثه بعد موته قدرا من المال لا يوصف بالكثرة ولا بالقلة ، وفرسـا ضـامرا كالعنان فى ادماجه وضمره ، وسـيفا قاطعا ، اذا حرك فى الضريبة لم يرض بالقطع ، ولكن يتجاوزه ويخرج الى ما وراءه ، ورمحا اسمر فى لونه ، وذاك أصـلب ، محمولا من الخط لم يكن طويلا ولا قصـيرا حتى لا يكـون مضـطربا ولا قاصرا ، بل يجرى مع الاعتدال ، وتلك عدة الفارس الجاهلى ، وسبب وجوده فمتى ما حصـل عليها ، ومتى ما ادخرها ، كان مطمئن البـال ، مرتاح الضمير ، لأنه ملك وسيلة الحياة :

متى ما يجيء يوما الى المـال وارثى

يجد جمع كف غير ملأى ولا صـفر

يجد فرسـا مثل العنان وصـارما

حسـاما اذا ما هز لم يرض بالهبر

وأسـمر خطيـا كأن كعـوبه

نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر[١٣]

والصـعلوك المحمود عند حاتم ، هو ذلك الذى تتمثـل به حياة الصعاليك الفرسان ، يصفه بشعره ، كما يصفه السليك وتأبط شرا وعروة ابن الورد ، فيرينا اياه وقد لبس الليـل الدجوجى ، ومضى مقدما على حوادث الدهر ، بعيد المطالب ، لا يحزن ان جاع و لايغتر بالغنيمـة ان شبع ، يرمى بوجهه شطر المكارم ، يبتغى كبراها ، ويلقى صدور الرماح فى يوم الكريهة حتى يختضب بالدماء فمثله يكسب الحمد والغنى لا مثل صـعلوك ذليل (لحاه الله) يرضى من العيش بلباس وطعام ، ينام ليله مطمئنا ، ويتنبه فى الضحى بارد الفؤاد مترهل الجسم لقعوده عن السعى ، مقتنعا بما يجود عليه الأغنياء من طعام ومسكن .

---

(١٢) جفن السلاح : اراد جفن السيف وهو غمده . عدواء : الأرض اليابسة الصلبة ، الجنب : شق الانسان .

(١٣) الفروسية ص ٣٠١ .

وجدير بحاتم ، وهو الفارس الصنديد ، أن يحتقر النكس الجبان ، فقد كانت الشجاعة أحدى الفضـــائل التى يتمدح بها ، ويجعل لها فى شعره مكانا رحيبا لا يقل فى اتساعه عن المكان الذى يعمره بذكر جوده وضيافاته فهو شاعر الفخر وشاعر الحماسة معا وشـــعره يفتقر الى الصور والتخيلات فى مواضع كثيرة ، وان تميز باختيار الألفاظ النقية واتقان تنزيلها وتركيبها ، يخرجها حلوة الاتســـاق فيها نغم وانســـجام وان لم تسلم فى مجموعها من الصلابة والجفاء وهو وان لم يتنزل عليه الالهام بقدر يرفعه الى طور امرىء القيس والنابغة والأعشى فقد أعطى من البصر الشامل فى اخلاق الناس ما يجعله يقترب من زهير واذا صح ان الانشاء صورة صـــاحبه فحاتم بن عبد الله فى شـــعره مثال ناطق بمكارم الاخلاق[١٤] .

---

(١٤) الشعراء الفرسان : بطرس البستانى .

عمرو بن كلثوم

أحاطت به الأساطير قبل مولده وبعده ، وبشرت بقدومه الاحلام والهواتف فى طفولة أمه ، وفى حملها به ، ونوهت فى السنة الأولى من عمره بسيادته المبكرة لبنى قومه ، وأمه ليست من المغمورات فى تاريخ العرب ، فكل ذى المام بأيام الجاهلية لابد له أن يعرف شيئا عن حرب البسوس ، وأخبار فارسها المهلهل بن ربيعة ، وانه يكنى أبا ليلى باسم ابنته[1] يقول صاحب كتاب الأغانى :

لما تزوج مهلهل هندا بنت بعج ، فولدت له ليلى بنت مهلهل فقال مهلهل لامرأته هند « اقتليها ، فأمرت خادما أن يغيبها عنها فلما نام هتف به هاتف :

كـم مـن فتى يؤمـل وسـيد شـمردل[2]
وعـدة لا تجهـل فى بطـن بنت مهـلهـل

واستيقظ فقال يا هند أين ابنتى قالت : قتلتها . قال : كلا واله ربيعة — فكان أول من حلف بهـا — فاصدقينى[2] — فأخبرته حقيقة أمرها فقال : « أحسنى غذاءها ان لها لشأنا فلما كبرت ليلى تزوجها كلثوم ابن مالك من سادات تغلب وفرسانها ، فلما حملت بعمرو أتاها آت فى المنام فقال :

يا لك ليـلى من ولـد يقـدم اقـدام الأسـد
من جشـم فيـه العـدد أقـول حقـا لافنـد

فاستبشرت بولادته وبشرت به ذويها فلما وضعته وأتت عليه سنة زارها ذلك الهاتف ليلا فأشار الى الصبى وقال :

انى زعيـم لك أم عمـرو بما جـد الجـد كريـم النجـر
اشـجع من ذى لبـد هزبر وقاص آداب شـديد الأسر

وكان الأمر كما حكى الهاتف فان عمرا ساد قومه وهو ابن

---

(١) الشعراء الفرسان .

(٢) الشمردل : القوى الفنى الحسن .

خمســـة عشر عاما فخرق بذلك تقـاليد العرب وآدابهم لأنهم كانوا لا يقبلون سيادة الفتيان(٣) •

وصاحبنا التغلبى لم يعرف له شعر كثير كما عرف للمهلهل ، ولكن قيمته الأدبية مع قلة نظمه أربت على قيمة جده ، فهو من شعراء الطبقة الأولى أصحاب المعلقات ، ومعلقته من الشعر القبلى الخالص بما فيها من فخر واعتداد وشجاعة وفروسية ، وتنديد بالخصم ، واشـــادة بمناقب العشيرة ، فاتيح لها منزلة عظيمة لم تتبوأها قصـــيدة سواها حتى قيل ان بنى تغلب كانوا يعظمونها جدا ، ويرويها كبارهم وصغارهم حتى هجوا بذلك قال بعض شعراء بنى بكر :

ألهى بنى تغلب عن كل مكـــرمة   قصـــيدة قالهـــا عمرو بن كلثوم
يروونهـــا أبدا مذ كان أولهـــم   يا للرجال لشعر غير مســئوم(٤)

ومن عادة أهل البادية أن يهجو بعضهم بعضا بكل شىء أفرطوا فى اتخـــاذه والعكوف عليه ، فليس بعجيب أن تهجى تغلب لاقبالها على معلقة شاعرها ، وانما العجيب ألا تكثر من روايتها والتغنى بقوافيها ، وقد حملت لها خلال أبياتها آيات المجد الأثيل تباهى بها أعداءها •

ومهما يكن من أمر هذه القصيدة والاختلاف حولها ، فانها تنبىء عن شاعرية فذة وفروســية نادرة ، وشخصية عظيمة خـلدها التـــاريخ وســطر لهـــا فى ســـجلاته صـــفحات من نور خمســـة عشر عـــامـــا ، وان ســـيادة عمـــرو لبنى تغـــلب وهـــو فتى لا يختلف فيها الرواة ، كما لا يختلفون فى تصوير نفســه أبية متكبرة ، امتلأت عزة وفخرا فما تصبر على أقل ضيم يصيبها ، تجابه الأخطار — ولا تبالى ، ذودا عن شرفها ، هذا الشرف الذى اكتنف عمرا من كل جانب فكان ســيد بنى تغلب ، وتغلب من أعظم قبائل العرب وأكثرها عددا وأياما ومنـــاقب حتى قيــل فيها : لو تأخر الاســـلام لأكلت بنو تغلب الناس •

وكان عمرو بن كلثوم معتزا بنفسه الى درجة الغرور ، ويرى أنه

(٣) الشعراء الفرسان ص ٦٠ .
(٤) الأغانى ص ٥٤ دار الكتب المصرية ١٩٣٨م .

أفضل من يمشي على الخضراء ومن تظلله السـماء ، يأبى الذل ، ويأنف أن يلمح له أحد بسوء في نفسه وأهله وذويه وقومه .

حدث يوما أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خـدمة أمي ؟ فقالوا : نعم ! أم عمرو ابن كلثوم . قال ولم ؟ قالوا : لأن أباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل أعز العرب وبعلهـا كلثـوم بن مالك أفرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه ، فأسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان يزير أمه أمه ، فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب ، وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب ، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق وكانت هند عمة امرىء القيس بن حجر الشاعر وكانت أم ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم أمرىء القيس وبينهما هذا النسب ، وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى ، فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف فقالت هند : ناوليني يا ليلى ذلك الطبق ، فقالت ليلى : لتقم صـاحبة الحاجة الى حاجتهـا فأعـادت عليها وألحت ، فصـاحت ليـلى واذلاه ! يالتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرف وجهـه ، فوثب عمرو بن كلثـوم الى سـيف لعمـرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

ألاهبي بصـحنك فاصـبحينا ... ولا تبقي خمـور الا ندرينـا
أبا هنـد فلا تعجـل علينـا ... وأنظـرنا نخبرك ــ اليقينـا
بأنا نورد الرايات بيضـا ... ونصـدرهن حمـراً قد روينا

الى آخر معلقته المشهورة التي تعظمها بنو تغلب ويرويها كبارهم وصغارهم حتى هجوا بذلك :

ألهى بنى تغلب عن كل مكـرمة قصـيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونهـا أبدا مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسـئوم

وهكـذا شفى عمرو بن كلثوم غليله ، وحـافظ على كـرامة أمه المهدرة ، بل حافظ على سمعة بيته العريق السامق الذى جاوز المجرة منزلا والسـماكين قـدرا ، وقد تأثر صريم التغلبى بهذه الواقعـة الشـائنة فنعى على ابن هند فعـله ورماه بعـدم التوفيـق فى هـذا فأنشد يقول :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخـدم ليـلى امـه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا فأمسـك من ندمانه بالمخنق[٥]
وجـلله عمرو على الرأس ضربة بذى شطب صافى الحديدة رونق[٦]

ولم يكتف قوم عمرو بهذا بل سارع مرة بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم ، فقتل المنذر بن النعمان وأخاه ، واياه عنى الأخطـل بقـوله لجرير :

أبنى كليب ان عمى اللـذا قتـلا الملوك وفككا الأغـلالا

وقد زعموا أن بنى تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفا منه ، فمر بهم عمرو بن أبى حجر الغسانى وفى رواية « انه الحـارث بن أبى شـمر الغسـانى ، فمر بأفاريق من تغلب فلم يسـتقبلوه وركب عمرو بن كلثوم فلقيه فقـال له : ما منع قومك أن يتلقونى ؟ فقال لم يعلموا بمرورك فقال لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظا لقدومى • فقال عمرو : ما اسـتيقظ قوم قط الا نبل رأيهم • وعزت جماعتهم ، فلا توقظن نائمهم ، فقـال كأنك تتوعدنى بهم ! أما والله لتعلمن اذا أجالت غطاريف غسان الخيل فى دياركم ، أن أيقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها • تجتث أصولهم وينفى

(٥) الندمان : الذى ينادمك على الشراب ، والمخنق : موضع حبل الخنق من العنق •
(٦) شطب السيف : طرائقه الواحدة شطبه ، ورونق السـيف : صفاؤه .

فلهم[٧] الى اليابس الجرد والنازح الثمد ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال :

ألا فاعـــلم أبيت اللعــن أنا ... على عمد ســـنأتى ما نريـــد
لتعلم أن محملنـــا ثقيـــل ... وان زناد كبتنا[٨] شـــديد
وأنا ليس حى من معـــد ... يوازينـــا اذا لبس الحـــديد

وفاته ووصاياه :

عاش مائة وخمسين سنة — ولما حضرته الوفاة جمع بنيه ووصاهم بقوله :

يا بنى قد بلغت من العمـر ما لم يبلغه أحـد من آبائى ولابد أن ينزل بى ما نزل بهم من الموت ، وانى والله ما عيرت أحدا بشىء الا عيرت بمثله ان كان حقا فحقا ، وان كان باطلا فباطلا ومن سب سب ، فكفوا عن الشتم فانه أسلم لكم ، وأحسنوا حواركم يحسن ثناؤكم وامنعوا من ضيم الغريب ، فرب رجل خير من ألف ، ورد خير من خلف وان حدثتم فعـوا ، واذا حدثتم فأوجـزوا ، فان مع الاكثـار تكـون الأهذار[٩] ، وأشـجع القوم العطوف بعد الكر ، كما أن أكرم المنـايا القتـل ولا خير فيمن لا روية له عند الغضـب ولا من اذا عوتب لم يعتب[١٠] ومن الناس من لا يرجى خـيره ، ولا يخـاف شره فبكؤه[١١] خير من دره ، وعقوقه خير من بره ولا تتزوجوا فى حيكم فانه يؤدى الى قبيح البغض .

---

(٧) الفل : القوم المنهزمون ، والجرد بالتحريك من الأرض ما لا ينبت ، والثمد بالتحريك المـاء القليل والنازح الذى نفذ ماؤه ، يريد انه ينفيهم الى ارض لا نبات فيها ولا ماء .

(٨) الكبة : الشدة : اى ان دفع حملتنا شديد فى القتال .

(٩) الأهذار جمع هذر وهو سقط الكلام .

(١٠) الاعتاب رجوع المعتوب عليه الى ما يرضى العاتب والاسم منه العتبى .

(١١) اصل البكء : قلة اللبن او انقطاعه يقال بكأت الناقة تبكأ بكئا (من باب منع) . وبكؤت تبكؤ (من باب كرم) بكاءة وبكوءا والمعنى : فمنعه خير من عطـائه .

المهلهل بن ربيعة

و (مهلهل) قال الآمدى اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث ابن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب وهو الشاعر المشهور ويقال : اسمه عدى وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة هو عدى بن ربيعة ، وسمى مهلهلا لأنه هلهل الشعر أى أرقه ويقال انه أول من قصد القصيد قال الفرزدق :

ومهلهل الشعراء ذاك الأول

وهو خال امرىء القيس بن حجر صاحب المعلقة والصحيح هذا ويدل له انه ذكر اسمه فى شعره فقال :

ضربت صدرها الى وقالت يا عديا لقد وقتك الأواقى

ولم يقل أحد قبله عشرة أبيات وقال الغزل وعنى بالنسيب فى شعره ، ويقال سمى مهلهلا بقوله :

لما توغل فى الكراع هجينهم هلهلت أثار مالكا أو صنبلا[1]

قال ابن سلام وزعمت العرب أنه كان يتكثر فى شعره ويدعى فى قوله بأكثر من فعله وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعد بن مالك ، وهو أحد البغاة لقوله :

قل لبنى حصن يردونه أو يصبروا للصيلم الخنفقيق[2]

من شاء دلى النفس فى هوة ضنك ولكن من له بالمضيق

أمرهم أن يردوا كليبا وقد قتل ، وأعلمهم أنه لا يرضى بشىء غير ذلك ، وكان مهلهل القائم بالحرب ، ورئيس تغلب ، فلما كان يوم قضة[3] وهو آخر أيامهم ، وكان على تغلب ، اسر الحارث بن عباد مهلهلا وهو لا يعرفه ، فقال له الحارث تدلنى على عدى بن ربيعة المهلهل وانت امن ؟ فقال له المهلهل : ان دللتك على عدى فانا امن ؟ ولى دمى ؟ قال الحارث نعم ، قال : فانا عدى ! فجز ناصيته وخلاه ،

---

(١) وصنبل كخندق علم على رجل من تغلب ، وهلهلت هنا بمعنى قاربت .

(٢) الصيلم : الداهية وكذلك الخنفقيق انظر خزانة الأدب ص ١٤٣ ، الجزء الثانى المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٨هـ .

وفى ذلك يقول الحارث : ثم خرج مهلهل فلحق باليمن فنزل فى جنب (حى من اليمن) فخطب اليه رجل منهم ابنته فقال انى طريد غريب فيكم ، ومتى أنكحتكم قال الناس اعتسروه فأكرهوه حتى زوجها وكان المهر أدما فقال :

أنكحها فقدها الاراقم فى ... جنب وكان الحباء من أدم[٥]

لو بأبانين جاء يخطبها ... رمل ما أنف خاطب بدم[٦]

ثم انحدر فلقيه عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبه فمات فى اساره[٦] وقال مهلهل يصف أيام الحروب وينعاها على بكر فى قصيدة طويلة فى يوم عنيزة :

اليلتنا بذى حسم[٧] أنيرى ... اذا أنت انقضيت فلا تخورى[٨]

فان يك بالذنائب طال ليلى ... فقد أبكى من الليل القصير

وانقذنى بياض الصبح منها ... لقد أنقذت من شر كبير

كأن كواكب الجوزاء عوز ... معطفة على ربع كسير

---

(٣) قضة : بكسر القاف وفتح الضاد المخففة ، وهى عقبة لعارض اليمامة كان بهما وقعة بكر وتغلب العظمى انظر : معجم البلدان ٧ : ١١٧ — ١١٨ .

(٤) أباء القبائل بالقتيل قتله به .

(٥) الأراقم : هم جشم ومالك والحارث ومعاوية وثعلبة وعمرو بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب ، والحباء اراد به المهر والأدم الجلد : يريد انهم لم يكونوا ارباب ابل فيمهروها بالابل ونقل السيوطى فى المزهر ٢ : ٣٦٦ ان ابن دريد صحف هذا الحرف فرواه (الخباء) والبيتان فى الكامل ٨٢٦ ، وعيون الاخبار ٣ : ٩١ والاغانى ٤ : ١٤٥ وابن الاثير ١ : ٢٢١ ونسبهما المرزبانى لابى المهلهل عصم بن النعمان .

(٦) ابانان : جبلان ، أبان الابيض ، وابان الأسود وقيل هما أبان ومتالع غلب أحدهما على الآخر ، ورمل بالدم : لطخ به وما زائدة . لهف نفسى على عدى ولم اعرف عديا اذ امكنتنى اليدان طل من طل فى الحروب ولم يطلل قتيل ابانه ابن ابان .

(٧) بذى حسم : موضع والعوذ : الحديثات النتاج والربع ما نتج بالربيع .

(٨) الشعر والشعراء ٣٠٣ ج ١ .

وقال مهلهل لما أسرف فى القتل :

أكثرت قتــلى بنى بكر بربهم حتى أبهرج بكرا أينما وجـدوا

قال أبو حاتم : أبهرج : أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم أحد ولا يؤخذ لهم دية وله أشعار كثيرة فى رثاء أخيه كليب منها قوله يبكى على أخيه سيد ربيعة بكاء مرا وينشج عليه نشيجا محزنا ، ويسـبغ عليه صـفات الجرأة والاقدام والشهامة والنبل والكرم ثم يأخذ على نفسـه العهود لعدم الصلح مع اعدائه يقول :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها اذ أنت خليتهـا فيمن يخليهـا
نعى النعـاة كليبا لى فقلت لهم مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صـنيعته ما كل آلائه يا قوم أحصـيها
نرى الرماح بأيدينـا فنـوردها بيضا ونصـدرها حمرا أعاليها
ليت السماء على من تحتها وقعت وانشقت الأرض فانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصـالحكم ما لاحت الشمس فى أعلى مجاريها

ولا ننسى قصيدته الرائية الخالدة التى قالها غداة قتل أخوه كليب وهى قصيدة يقطر كل بيت منهـا حزنا وألما يقول :

أهـاج قذاء عينى الادكـار هدوءا فالدموع لها انحـدار
وصـار الليل مشـتملا علينا كأن الليـل ليس له ــ دثار
وبت أراقب الجـوزاء حتى تقارب من أوائلهـا انحـدار
أقلب مقلتى فى أثـر قـوم تباينت البـلاد بهم فغـاروا
دعـوتك يا كليب فـلم تجبنى وكيف تجيبنى البـلد القفـار
أجبنى يا كليب خـلاك ذم لقد فجعت بفارسـها نزار
وانك كنت تحـلم عن رجـال وتعفـو عنهم ولك اقتـدار
وكنت أعد قربى منـك ربحـا اذا ما عـدت الربح التجـار
يعيش المرء عنـد بنى أبيـه ويوشك أن يصير بحيث صاروا
كأنى اذ نعى النـاعى كليبـا تطـايَر بين جنبى الشرار

وقد امتزج حزنه بعاطفة مشبوبه من الرثاء وكأن قصيدته فى رثاء أخيه مناحة تستبق فيها الزفرات ، وتتنافس فيها العبرات وحق له ذلك ، فالقتيل فارس نزار الصنديد وجامع شمل معد كلها وقاهر قبائل مذحج .

ولكن يؤخذ على مهلهل اسرافه فى القتل وتجاوزه الحد — وكل شىء اذا زاد على حده انقلب الى ضده — ومما يؤخذ عليه أيضا انه كان أحد العــوامل فى تفتيت قبيلتى بكر وتغلب ، وكانتا رجلا واحدا وقلبا واحدا وخاصــة فى يوم ذى قار حيث اجتمع العرب لأول مرة وقاتلوا الفرس وانتصروا عليهم وقد اســتمرت الحروب فيما تنقل الروايات بين بكر وتغلب أربعين عاما ، واذا كان هنــاك من ضرر فى تفريق هــاتين القبيلتين فلا شــك ان هذه الحــروب قد أثرت النتــاج العربى من حيث الأدب واللغة والتاريخ .

عامر بن الطفيل

هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة الفارس المشهور والشاعر المجيد وهو ابن عم لبيد الشاعر ، وهو يعد من أبطال العرب المعدودين ، عرفت له الغارات البعيدة ، والوقائع المشهورة فى قبائل مذحج وخثعم وغطفان وغيرهم وكان له فرس يقال له المزنوق وله يقول :

وقد علم المزنوق أنى اكره ... على جمعهم كر المنيح المشهر
لعمرى وما عمرى على بهين ... لقد شان حر الوجه طعنة مسهر[1]
اذا ازور من وقع السلاح زجرته ... وقلت له : أربع مقبلا غير مدبر

ويروى أن معد يكرب كان يحسب له ألف حساب ، ويجعله أحد الأربعة الذين يبالى بهم اذا خرج بظعينة الى مياه بنى معد ، ولقد أضاف الى شجاعته فروسية ضرب بها المثل فكان أحذق من امتطى صهوة فرس وألبق من أدار عنانا ، وفرسه المزنوق الذى أشرنا اليه من أكرم الخيول العربية « خصه الشاعر بنصيب وافر من شعره وأجمله ما جاء فى قصيدته التى ذكر بها يوم فيف الريح فقد عنى فيها عناية خاصة بالتحدث عن جواده فى المعركة ومخاطبته اياه زاجرا محرضا عند ما رآه يزور من وقع الرماح فذكرنا بعنترة وقوله :

فازور من وقع القنا فزجرته ... فشكا الى بعبرة وتحمحم

ولكن عامرا لم يبلغ مبلغ عنترة فى جمال التصوير ، فأسود بنى عبس رفع جواده الى درجة الشعور الانسانى وكانت شكواه عبرة تترقرق فى عينه وحممه تنبعث من صدره على حين أن جواد ابن الطفيل لا يرقى به الى ذلك الشعور الرقيق فيصور فرسه جامدا يستمع اليه دون أن تبدو منه اشارة رضى أو نفور ، فيفهمه ان الفرار عار ومذله ، ولا عذر للمرء ما لم يحسن البلاء ، ويحثه على الثبات ذاكرا

---

(١) الشعراء الفرسان ص ١١٩ — ١٢٠ .
هو مسهر بن يزيد وهو الذى غرر بعامر بن الطفيل وطعنه بالرمح فى وجهه ففلق وجنته وشق عينه . راجع ٣٤١ الشعر والشعراء .

له أن رماح الاعداء ممتدة الى صدر فارسه ، وانه جواد كريم الأصل لا يجمل به الا الصبر .

وشعره يعطينا صورة بينه عن شجاعة الفارس ، واعتماده فى الحرب على فرسه الكريم ، وعامر بن الطفيل جاهد خير جهاد يوم فيف الريح ولم يبرح المعركة حتى بلل الدم نحره وصـــدر جواده فجرى خطوطا « كهداب الدمقس المسير » ويوم فيف الريح من أيام العرب المشهورة تجمعت فيه القبائل من مذحج ومراد وزبيد وخثعم وغيرهم وأغارت على بنى عامر فقــاتل العامريون وعلى رأســهم أبو براء ملاعب الأسنة عم عامر بن الطفيل ، فتكاثرت الجموع اليمانية عليهم ، واحاطت بهم تعضـــهم بأنياب رماحها ، فتقهقرت بنو عامر وتبعثرت ، وكادت تولى الأدبار لو لم يقبل عامر بن الطفيل فيأخذ بيدها ، ويكر على القوم فى مقدمتها راميا بنفسه فى أشد المواقف وأخطرها ، حتى صار الفارس اذا طعن طعنة نادى يا أبا على (كنية عامــر) ولكن التوفيـــق لم يكن حليف الشاعر الفارس فى هذا اليوم فالأعداء جماهير عديدة لا تذكر عندها بنو عامر كما يقول :

فلو كان جمع مثلنـــا لم نبالهم   ولكن اتتنـــا أسرة ذات مفخر
أتونا بفرســـان العريضـــة كلها   وأكلب طرا فى لباس السنور

وفيهم من الفرســـان المعروفين أمثال أنس بن مدركة ومسهر الحارثى فبينا عامر يقاتل من جانب الى آخر أتاه مسهر من ورائه ، فمد الرمح الى أذنه وصاح عندك يا عامر ! ثم طعنه طعنة فأصــاب عينه ، فوثب عامر عن ظهر جــواده ، ونجا على رجليه يتصــبب الدم منه ، ولم يبق له الا عين واحدة فأضــيف عيب العور الى عيب آخر فيه وهو العقم فقد كان عامر ميت الجرثومة ، لا يأتى بالأولاد ولكنه يعزى نفسه بأن عيب الجبن بعيد عنه . يكر عليهم عشية فيف الريح فيقول :

فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا   جبـــانا فما عذرى لدى كل محضر

وقــد علموا أنى أكـــر عليهم   عشـــية فيفَ الريح كر المدور

ولقد ذاعت شهرة هــذا الفارس الشجاع وطبقت الآفاق[٢] حتى بلغت قيصر الروم فكان اذا وفد عليه وافد من العرب سأله : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فان ذكر له نســبا يجمع بينهما عظمت مكانته عند الملك وتهيبه وارتفع شأنه .

خصاله المذمومة :

رغم فروسيته واقدامه فقد كانت تؤثر عن هذا الشاعر صفات غــير محمودة قصرت به فقد كانت فيه عنجية البدوى الغليظ جفـــاء الطبع ، والكبرياء ، وحب الظلم وقلة العطاء وهذه من عيوب السيادة التى لا يرتضيها العرب .

ورغم ذلك فقد ارتضته بنو عامر سيدا لها بعد موت عمه أبى براء (ملاعب الأســنة) ولكن عنجهية عامر أبت أن ترى الســيادة وراثة ومجده آتيا من غيره يقول فى ذلك :

وانى وان كنت ابن ســيد عامر   وفارسها المشــهور فى كل موكب
فما ســودتنى عامر عن وراثة   أبى الله ان أســمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حمــاها واتقى   أذاها وأرمى من رماهــا بمنكبى

---

(٢) الاعلام ج ٣ ص ٤٣ ، انظــر بلوغ الارب ١ : ١٤٤ وسمط اللآلى ص ٩١٠ .

ربيعـــة بن مكـــدم

نحو ٥٣٤ — ٥٥٨ م

ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان من بنى كنانة أحد فرسان مضر المعدودين فى الجاهلية وهو أول من حمى الظعن ، ولا يعلم قتيل حمى الظعن غيره وفى الأمثال « أحمى من مجير الظعن »(١٣) ومن حديثـه فيما ذكر أبو عبيده أن ابن نبيشة بن حبيب السلمى خرج غازيا فلقى ظعنا من كنـانة بالكديد فأراد أن يحتويهـا فمانعه ربيعة بن مكدم فى فوارس ، وكان غلاما له ذؤابة فشـد عليـه نبيشة فطعنه فى عضـده فأتى ربيعة أمه فقال :

شدى على العصب أم سـيار   فقد رزئت فارسـا كالدينـار

فقالت له أمه :

انا بنى ربيعـة بن مالك   مـرزؤ اخيـارنا كذلك

من بين مقتـول وبين هـالك

ثم عصـبته فاسـتسقاها ماء فقالت اذهب فقاتل القوم فان الماء لا يفوتك ، فرجع وكر على القوم فكشفهم ورجع الى الظعن وقال انى هالك لما بى وسـأحميكن ميتا كمـا حميتكن حيـا بأن أقف بفرسى على العقبة واتكىء على رمحى فان فاضت نفسى كان الرمح عمادى فالنجاء النجاء ، فانى أرد بذلك وجوه القوم ساعة من النهار فقطعن العقبة ووقف هو بازاء القـوم على فرسـه متكئـا على رمحـه ونزفه الدم ففاضت روحه ، والقوم بازائه يحجمون عن الاقدام عليه ، فلما طال وقوفه بالمكان ورأوه لا يزول عنه رموا فرسه فقمص وخـر ربيعـة على وجهـه ، فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن ، ثم ان حفص بن الاحيف الكنانى مر بجيفة فعرفها فأمال عليها أحجارا من الحرة وقال يبكيه :

لا يبعدن ربيعـة بن مكـدم   وسقى الغوادى(١٤) قبره بذنوب(١٥)

---

(١٨) الظعينة هى المراة التى ترحل فى هودجها ومن مفاخر فرسان العرب حمايتها ودفع الغزاة عنها لان المراة فى البادية كانت معرضة للسطو والسبى من لصوص العرب وفتاكهم .

(١٣) الغوادى : جمع غادية . سحابة الصباح .

نفرت قلوصى من حجــارة حرة بنيت على طــلق اليدين وهوب
لا تنفـــرى يا ناق منـــه فانه شريب خمر مســـعر لحـــروب
لولا السفار[16] وبعدخرق[17]مهمه لتركتها تحبـــو على العـــرقوب

قال أبو عبيدة : ما نعلم قتيلا حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدم .

ويصف الرواة ربيعة فيقولون « انه كان فتى جميل الصورة ، حلو الشـــمائل الا انه متهور فى شـــجاعته واقدامه ، لا يحتاط لنفســـه فى المخاطر ، ولعل ذلك راجع الى حداثته وقلة خبرته ، وغرور الصـــبا وكبريائه وليس خبره مع ابن نبيشـــة بأعجب من خبره مع عمرو بن معد يكرب فقد نقل الينا أبو الفرج الأصفهانى أن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن معد يكرب « من أشجع من رأيت ؟ قال « خرجت فى بعض غزواتى فأصبحت بين رمال متعاقدة وفيها أبيات مرفوعة فعدلت اليها فاذا أنا بجوار ثلاث كأنهن نجـــوم الثريا فبكين حـــين رأينني فقلت ما يبكيكن ؟ قلن : « لما ابتلينـــا به منك » وأخت لنا وراء هذا الكثيب أجمل منا تموت هناك ضياعا بعدنا » فتركتهن وسرت فى طلب الرابعة طمعا فى أخذهن جميعا حتى أشرفت من مكان مرتفع ، فاذا غلام لم أر قط أحسن من وجهه له ذؤابة يسحبها ، فلما نظر الى وثب على فرسه مبادرا فسبقنى الى الأبيات فوجد الجوارى خائفات فسمعنه يقول لهن ؟

مهـــــلا نســـــياتى فلا ترتعـــن ان تمنع اليـــوم نســـــاء تمنعن

فلما دنوت منه قال : أتطردنى أم أطردك ؟ قلت : « بل أطردك » فركض وركضت فى أثره حتى اذا مكنت سنان الرمح من أسفل كتفه اتكأت عليه ، فاذا هو والله ينقلب على ظهر جواده فتذهب الطعنة خائبة ثم استوى فى سرجه فعدت الى طرده وهو يركض أمامى حتى اذا مكنت السنان من متنه شددت عليه وأنا أظن أنى قد فرغت منه فمال عن

---

(١٤) والسفار : السفر والدلو : القطر .
(١٦) الخرق الأرض الواسعة .
(١٧) المهمه الصحراء يقول لولا انى محتاج اليها فى السفر لنحرتها عند قبره لتأكلها الناس كما هى عاداتهم اذا مروا بقبر كريم .

سرجه حتى خالط الأرض ومضى السنان زالجا فى الهواء ثم أستوى على فرسه ، فطردته ثالثة ومكنت الرمح بين ذوائبه فاذا هو والله قائم على الأرض والسنان يسبح فى الخلاء فلما استوى على فرسه قال أبعد ثلاث تريد ماذا ثكلتك أمك ! فوليت عنه وأنا مرعوب ، فلحقنى حتى غشينى ، وأحسست مس الرمح فى بدنى ، فالتفت اليه فاذا هو يطردنى بالرمح دون سنان ، ثم كف عنى واستنزلنى فنزلت عن جوادى ، فجز ناصيتى وقال : « انطلق فانى أنفس بك عن القتــل » فكان ذلك عندى يا أمير المؤمنين أشد من الموت ، وسألت عنه فقيل هو ربيعة بن مكدم فذلك والله أشجع من رأيت » .

والشىء الفــريد الذى يضــفى على ربيعة هالة من الاجـــلال والاحترام والتقدير تنصيبه نفسه حاميا للظعائن[19] . ومدافعا عن النساء (كما مر) فجعلت منه شــخصا فريدا فى بطولته المبكرة بين فرســـان الجاهلية وصار لا يطلق « حامى الظعينة الا عليه » وما أحسن قوله فى ذلك :

ان كان ينفعك اليقين فســـائلى	عنى الظعينة يوم وادى الأخرم[20]
اذهى لأول من أتاهـــــا نهبــــة	لولا طعـــــان ربيعة بن مكــدم
اذ قال لى أدنى الفوارس ميتة	خل الظعينة طــائعا لا تنــدم
فصرفت راحــلة الظعينة نحوه	عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم[21]
وهتكت بالرمح الطــويل اهابه	فهوى شريعا لليدين وللفــم[22]
ومنحت آخــر بعــده جياشــــة	نجلاء فاغرة كشدق الأضجم[23]
ولقد شفعتهما بآخــــر ثالث	وأبى الفــرار لى الغداة تكرمى

(١٩) الأخرم : اسم جبل بالبادية .
(٢٠) الراحلة : الناقة أو البعير يحط عليه الرجل الرحل للسفر .
(٢١) اهابه : جلده .
(٢٢) جياشة : طعنة يغلى دمها فى تدفقه ، نجلاء : واسعة ، فاغرة منفتحة ، الشدق : جانب الفم وشدق الأضجم : المعوج الفم ويشبه الجرح الواسع بالفم الأضجم انظر الأغانى .
(٢٣) ظلع : غمز فى مشيه .

زيد الخيل الطائى

هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضا — ورضا صنم كان لطيىء — من طيىء ، كنيته أبو مكنف من أبطال الجاهلية وشجعانها ، ولقب بـ « زيد الخيل » لكثرة خيله أو لكثرة طراده بها ، منها المسماة المعروفة التى ذكرها فى شعره وهى ستة : وهى الهطال والكميت والورد ، وكامل ودؤول ولاحق يقول فى الهطال :

أقرب مربط الهطال منى ... أرى حربا ستلقح عن جبال

ويقول :

أبت عادة للورد أن يكره القنا ... وحاجة نفسى فى نمير وعامر

وفى الورد يقول :

فأقسم لا يفارقنى دؤول ... أجول به اذا كثر الضراب

وكان له فرس منها « ظلع »[٢٤] فى بعض غزواته ببنى أسد فلم يتبع الخيل ووقف ، فأخذته بنو الصيداء فصلح عندهم واستقل وقيل : بل أغزى عليه بعض بنى نبهان فنكس[٢٥] عنه وأخذ ، وقيل انه خلفه فى بعض أحياء العرب ظالعا ليستقل ، فأغارت عليهم بنو أسد فأخذوا الفرس فيما استاقوه لهم ، فقال فى ذلك زيد الخيل :

يا بنى الصيداء ردوا فرسى ... انما يفعل هذا بالذليل

لا تذيلوه فانى لم أكن ... يا بنى الصيدا لمهرى بالمذيل[٢٦]

عودوه كالذى عودته ... دلج الليل ، وايطاء القتيل

أحمل الزق على منسجه ... فيظل الضيف نشوان يميل

قال أبو عمرو الشيبانى وكان زيد الخيل ملحا على بنى أسد بغاراته ثم على بنى الصيداء منهم ففيهم يقول :

ضجت بنو الصيداء من حربنا ... والحرب من تحلل به يضجر

بتنا نرجى نحوهم ضمرا ... معروفة الأنساب من منسر

---

(٢٣) ضلع الاسد : نفر .
(٢٤) نكس الفرس لم يلحق الخيل .
(٢٥) اذال فرسه : لم يحسن القيام عليه فهزل .
(٢٦) الضمر : المراد بها الخيل جمع ضامر .

حتى صـــبحناهم بهـا غدوة لقتلهم قسرا على الضــمر[٢٧]
يدعـون بالويـل وقد مسـهم منا غداة الشعب ذى الهيسر[٢٨]
ضرب يزيل الهام ذو مصـدق يعلو على البيضـة والمغفر[٢٩]

وقد أنشد حبيب بن خالد بن نصلة الفقعسى قول زيد الخيل :

عودوا مهرى الذى عـودته دلج الليـل وايطـاء القتيـل

فضحك ثم قال : قولوا له : ان عودناه ما عودته دفعناه الى أول من يلقانا وهربنا ! ! ![٣٠] .

وبالرغم من ذلك فقد حالفه التوفيق فى معظم مواقعه فقلما عادت قبيلته خاسرة وهى فى صـحبته ، وانما يغلب عليها أن تعـود معه ظافرة غانمة ومن مواقعـه ما يروى « أن زيـدالخيـل بن مهلهل جمع طيئا وأخـلاطا لهم وجموعا من شـذاذ العرب ، فغزا بهم بنى عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس ، وسار اليهم فصحبهم مع طلوع الشمس فنذروا به[٣١] وفزعوا الى الخيل وركبوها ، وكان أول من نذر بهم فلقى جمعهم غنى بن أعصر واخوتهم الحارث وهم الطفاوة واسمه مالك بن سعد بن قيس بن عيلان فاقتتلوا اقتتالا شديدا ، ثم انهزمت بنو عامر فاستمر القتل بغنى ومنهم يومئذ فرسان وشعراء ، فمـلأت أيديهم طيىء من غنائمهم ، وأسر زيد الخيل يومئذ الحطيئة الشاعر فجز ناصيته وأطلقه ، ثم ان غنيا تجمعت بعد ذلك مع جمع من بنى عامر فغزوا طيئا فى أرضهم فغنموا وقتلوا وأسروا وأدركوا ثأرهم منهم .

يقول زيد الخيل فى وقعته لبنى عامر قصيدته البائية المشهورة :

وخيبـة من يخيب عـلى غنى وباهـلة بن أعصر والكـلاب

فلما أدركوا ثأرهم أجابه طفيل الغنوى فقال :

---

(٢٧) الهيسر : شجر كثير الشوك تاكله الابل .
(٢٩) انظر الاغانى جـ ١٧ : ص ١٧٢ وما بعده .
(٣٠) نذروا به ، علموه فحذروا واستعدوا له .

سموناً بالجياد الى أعاد ... مغاورة بجد واعتصاب[٣٢]
تؤمهم على وعث وشحط ... بقود يطلعن من النقاب[٣٣]

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

أخذنا بالمخطم من أتاهم ... من السود المزنمة الرعاب[٣٤]
وقتلنا سراتهم جهارا ... وجئنا بالسبايا والنهاب
سبايا طيىء أبرزن قسرا ... وأبدلن القصور من الشعاب
سبايا طيء من كل حى ... نما فى الفرع منها والنصاب
وما كانت بناتهم سبيا ... ولا رغبا يعد من الرغاب
ولا كانت دماؤهم وفاء ... لنا فيما يعد من العقاب[٣٥]

وكان زيد شديد الالحاح بغزواته على العرب العدنائية لعصبيته فى قحطان وخص بنى أسد بأكثر غاراته واعنفها ولطالما تلذذ فى شعره بترداد أسماء القبائل النزارية التى يفرط فى محاربتها يقول فى ذلك :

انا لنكثر فى قيس وقائعنا ... وفى تميم وهذا الحى من أسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له ... صدر القناة بماضى الحد مطرد
لما أحس بأن الورد مدركه ... وصارما وربيط الجأش ذا كبد
نادى الى بسلم بعد ما أخذت ... منه المنية بالحيزوم واللغد[٣٦]
ولو تصبر لى حتى أخالطه ... أسعرته طعنة تكثار بالزبد[٣٧]

وتؤدى به عصبيته وتعصبه الى أن ينتصر لعمرو بن الاطنابة الخزرجى عندما بلغه هجاء الحارث بن ظالم له ومحاولته الايقاع به (ومن المعروف أن قبيلة الخزرج يمانية يجمعها بين طيىء نسب قديم الى كهلان والحارث عدنانى من بنى مرة) فالتغلبى عليه أن يرضى كبرياء زيد ويدغدع نعرته القحطانية ، فلما بلغ زيد ما كان من الحارث ضد

---

(٣١) غاور العدو مغاورة : اغار عليهم وفى مخطوط : مجاوزة بدلا من مغاورة .

(٣٢) وعث الطريق : تعسر سلوكه ، والشحط : البور ، والقود جمع اقود وهو الذلول المنقاد ، والنقاب جمع نقب ، الطريق فى الجبل .

(٣٥) اللغد : لحمة فى العنق والحيزوم وسط الصدر .

(٣٦) شرحها مخطوط فقال : تكثار اى تجيش وترمى من قولهم اكثار الفرس : اذا رفع ذيله فى العدو وفى رواية اسعرته طعنه كالنار فى الزند بتحريك النون للضرورة . (٣٧) القوادم : الرؤوس .

قريبه الخزرجى اليمـــانى أغار على بنى مرة بن غطفـــان وأسر الحارث ابن ظالم وزوجه فى غاراته ثم تفضل عليهما بالامتنان يقول فى ذلك :

ألا هل أتى غوثا ورومان أننـــا صبحنا بنى ذبيان احدى العظائم
وسقنا نســـــاء الحى مرة بالقنا وبالخيل تردى قد حوينا ابن ظالم
يقول اقبلوا منى الفداء وأنعموا على وجزونى مكان القوادم[٣٨]
وقد مس حد الرمح قوارة استه فصار كشدق الأعلم المتضاجم[٣٩]

وبقى زيد حتى أدرك الاسلام ووفد على النبى ﷺ فى وفد طيىء وأســـلم وســـماء النبى « زيد الخير » وقال له « ما وصـــف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الاسلام الا رأيته دون الصفة ليسك » .

وعاش زيد الخيل طوال حياته ذائع الصيت مرهوب الشخصية ، مظفرا فى الوقائع والغارات حتى مات .

---

(٣٨) الأعلم الذى فى شفته العليا شق والمتضاجم : المعوج .
(٣٩) ص ٢٩٢ والموضوع ٢٦ الشعر والشعراء الجزء الأول الطبعة الثانية تحقيق احمد محمد شاكر ١٩٧٧ .

ذو الأصبع العدوانى

هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة ابن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار أحد بنى عدوان وهم بطن من جديلة ، شاعر فارس شجاع من قدماء الشعراء فى الجاهلية وله غارات كثيرة فى العرب ووقائع مشهورة ، وقد نزلت عدوان على ماء فأحصوا منهم سبعين ألف غلام أغرل[1] سوى من كان مختونا لكثرة عددهم ثم وقع باسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الاصبع :

عذير الحى من عدوا ... ن كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضا ... فلم يبقوا على بعض
فقد صاروا أحاديث ... برفع القول والخفض
ومنهم كانت السادا ... ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا ... س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضى ... فلا ينقض ما يقضى

وقول ذى الأصبع « ومنهم حكم يقضى » فانه يعنى عامر بن الظرب العدوانى ، فقد كان حكما للعرب تحتكم اليه وقيس تدعى هذه الحكومة وتقول ان عامر بن الظرب هو الحكم وهو الذى كانت العصا تقرع له ، وكان قد كبر فقال له الثانى من ولده : انك ربما أخطأت فى الحكم فيحمل عنك ، قال فاجعلوا لى امارة أعرفها فاذا زغت فسمعتها رجعت الى الحكم والصواب ، فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا ، فاذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فرجع الى الصواب ، وفى ذلك يقول المتلمس .

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلما

قال ابن حبيب وربيعة تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن وهو ذو الأعواد ، وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم وفيه يقول الأسود بن يعفر :

---

(١) الأغرل : الذى لم يختن .

ولقد علمت لو أن علمى نافـــــع ان الســـبيل ســبيل ذى الأعواد

وقد قال ذو الأصبع الشعر فى أغراض كثيرة ، ويجمع شعره بين الحكمة والمثل ولذا تمثل به الخلفاء والأمراء لروعته ونبل مقصده . فقد جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبه بن أبى سفيان لحاء[٢] بين يدى معاوية ، فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبه ويعرض بمعاوية حتى أطال وأكثر من ذلك فالتفت اليه معاوية متمثلا وقال :

ورام بعـوران الكـلام كأنهـا نوافر صـبح نفرتهـا المراتع
وقديدحض[٣]المرءالموارب بالخنا وقد تدرك المرء الكريم المصـانع

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟ قال ذو الاصبع فقال اترويه ؟ قال : لا فقال من ها هنا يروى هذه الأبيات ، فقام رجل من قيس فقال أنا أرويها يا أمير المؤمنين فقال أنشدنى فأنشده حتى اتى على قوله :

وســاع برجليــه لآخــر قاعد ومعط كريم ذو يســار ومانع
وبان لأحســاب الكرام وهادم وخافض مولاه ســفاها ورافــع
ومغض على بعض الخطــوب وقــد بدت
له عــورة من ذى القــرابة ضــاجع
وطــالب حــوب باللســان وقلبــه
ســوى الحــق لا تخفى عليــه الشرائع

فقال له معاوية كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة قال : اجعلوها ألفا ، وقطع الكلام بين عبد الله وعتبة .

وهذا يدل على ما بلغ اليه شـعر ذى الاصـــبع العدوانى من الروعة والتأثير واصابة المرمى وقوة عارضة الشاعر وبلاغته الساحرة التى تفرد بها دون ســـائر أترابه ونلاحظ أيضا أنه اجـــاد (فن الاجتماعيات والشكوى والعتاب ولا سيما من ذوى قرباه وعشيرته الذين كانوا يضمرون له الشر ويتدسسون الى مكارهه وينشرونها بين الناس — فقد كان له ابن عم يعاديه ويؤلب عليه الناس ، ويسعى بينه وبين بنى عمه ويبتغى له عندهم شرا فقال فيه :

---

(٢) منازعة . (٣) يدحض : يزل .

يا صـــاحبى قفـــا قليـــلا وتخبرا عنى لميســـــــا
عمن أصـــــابت قلبـــــه فى مرهـا فغـدا نكيســـا[٤]
ولى ابن عـــــم لا يزا ل الى منكـــره دســـــيسا
دبت لـــــه فأحس بعـــد البرء من ســـقم رسـيسا[٥]
اما علانيـــة واما مخمـــرا[٦] أكـــلا — وهيســـا[٧]
انى رأيت بنى أبيـــــك يحجمـــون[٨] الى شـــوسا[٩]
حتفـــا عـــلى ولن ترى لى فيهم أثرا بئيســـا[١٠]
أنحـــوا على حـــر الوجـــو ه بحد منشار[١١] ضروســـا
لو كنت مـــاء لـــم تكـــن عذب المذاق ، ولا مســـوسا[١١]
منـــــاع ما ملكت يد اك وســـائل لهم نحوســا

ويشبه هذا الشعر فى منحاه قول الشاعر :

لو كنت مـــاء كنت غـــير عذب أو كنت ســـيفا كنت غير عضب
أو كنت طرفا[١٢] كنت غير ندب[١٣] أو كنت لحما كنت — لحـــم كلب

أو قول الآخر :

لو كنت مخـــا كنت مخاريرا[١٤] أو كنت بـــردا كنت زمهـــريرا
أو كنت ريحا كنت الدبورا

ولعل العوامل التى جعلت شعره يغلب عليه طابع الشـــكوى — تفرق قومه وقتال بعضهم بعضـــا حتى تفانوا ، قال أبو عمرو وكان السبب فى تفرق عدوان أن بنى ناج بن يشـــكر بن عدوان أغاروا على

---

(٤) نكيسا : مريضا . (٥) الرسيس : اول الحمى .
(٦) من اخمر الشيء اذا ستره .
(٧) الأكل الوهيس : الشديد .
(٨) يحجمون : يديمون النظر .
(٩) شوسا : الشوس بتحريك : النظر بمؤخر العين .
(١٠) البئيس : الشديد المكروه .
(١١) الماء بين العذب والملح اهـ .
(١٢) الطرف : الفرس .
(١٣) الندب يقال فرس ندب اى ماض ونشيط .
(١٤) مخاريرا أى فاسدا .

بنى عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ونذرت[١٥] بهم بنو عوف فاقتتلوا ، قتل بنو ناج ثمانية نفر فيهم عمير ابن مالك سيد بنى عوف ، وقتلت بنو عوف منهم رجلا يقال له سنان بن جابر ، وتفرقوا على حرب ، وكان الذى أصابوه من بنى وائلة بن عمرو بن عباد وكان سيدا ، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك وأبى مرير بن جابر بسنان بن جابر دية ، واعتزل هو وبنو ابيه ، ومن أطاعهم ، وتبعه على ذلك كرب ابن خالد ، أحد بنى عبس بن ناج ، فمشى اليهما ذو الاصبع وسألهما قبول الدية وقال : : قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية ، وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته ، فأبيا ذلك وأقاما على الحرب ، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانوا وتقطعوا فكانت هذه الخطوب والملمات مصدر الهام للشاعر يصورها فيبدع التصوير وهذه النكبات كانت عاملا مهما أيضا فى صبغ أسلوبه الشعرى بالصبغة الحزينة الباكية يقول ذو الاصبع :

ويا بؤس للأيام والدهر هالكا	وصرف الليالى يختلفن كذلكا
أبعد بنى ناج وسعيك فيهم	فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا
اذا قلت معروفا لأصلح بينهم	يقول مرير لا أحاول ذلكا
فأضحوا كظهر العود جب سنامه	تحوم عليه الطير أحدب باركا
فان تك عدوان بن عمرو تفرقت	فقد غنيت دهرا ملوكا هنالكا

ويتجلى حزنه الكامن المتأجج فى قصيدته النونية التى يبث فيها لواعجه ، ويشكو أشجانه ، فهو يحمل قلبا شديد الهم ، عضه الدهر بنابه ، وناء عليه بكلكله ، والدهر ذو غلظ حينا وذو لين ، وقد جمعت هذه القصيدة امثالا وحكما جمة وكانت الدرة الغالية ، وواسطة العقد بين درره الغوالى يقول فيها :

يا من لقلب شديد الهم محزون	أمسى تذكر ريا أم هارون
أمسى تذكرها من بعد من شحطت	والدهر ذو غلظ حينا وذو لين
فأن يكن حبها أمسى لنا شجنا	وأصبح الولى[١٥] منها — لايواتينى

(١٥) نذر بالشىء : علم به فحذره .   (١٦) الولى : القرب .

فقد غنينا وشـــمل الدار يجمعنا — أطيع ريا وريا — لا تعاصـــينى
نرمى الوشاة فلا نخطى مقاتلهم — بخالص من صـــفاء الود مكنون
ولى ابن عم على ما كان من خـــلق — مختلفان فأقليه[١٧] — ويقلينى
أزرى بنا أننا شـــالت نعامتنا — فخالنى دونه بل خلتـــه دونى
ان الذى يقبض الدنيا ويبسطها — ان كان أغناك عنى سوف يغنينى
يا عمرو الا تدع شـــتمى ومنقصتى — أضربك حتى تقول الهامة اســـقونى[١٨]
كل امرىء صائر يوما لشـــيمته — وان تخـــلق أخـــلاقا الى حين

ثم يعدد اخلاقه ، وصفاته ، وانه كريم معطاء ، وداره مفتوحة أمام الاخلاء والأخدان ، وخيره يعم الناس أجمعين ، كما أن لسانه مبرأ من العيوب ورغم هذا فان من يجترىء عليه فلا يسلم من الفتك به :

أنى لعمرك مابابى بذى غلق[١٩] — عن الصديق ولا خيرى بممنون
ولا لســـانى على الأدنى بمنطلق — بالمنكـــرات ولا فتكى بمأمـــون
يا عمرو لو كنت لى ألفيتنى يسرا — سمحاكريما أجازىمنيجازينى[٢٠]

أيامه الأخيرة :

ولما احتضر ذو الاصبع دعا ابنه أســـيدا فقال له : يا بنى ان أباك قد فنى وهو حى وعاش حتى سئم العيش ، وانى موصيك بما ان حفظته بلغت فى قومك ما بلغته فاحفظ عنى :

ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك وابســـط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأسر عليهم بشىء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم واسمح بمالك ، واحم حريمك ، وأعزز جارك وأعن من اســـتعان بك ، واكرم

---

(١٧) اقليه : ابغضه .
(١٨) هذا وارد على ما يزعمه العرب من ان روح القتيل الذى لم يدرك بثاره تصير هامة تقف عند قبره وتقول : اسقونى اسقونى ، فاذا أدرك بثاره طـــارت .
(١٩) الغلق : ما يغلق به الباب .
(٢٠) يسرا : سهلا .

ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصريخ ، فان لك أجلا لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا فبذلك يتم سؤددك ثم أنشأ يقول :

أأســـــيد ان مـــالا ملكت … فسر به ســـــيرا جميـــلا
آخ الكـــرام ان اســـتطعت … الى اخائهم ســـــــبيلا
وأشرب بكأســـــــهم وان … شربوا به الســـم الثميلا[٢١]
أهـــن اللئـــــام ولا تكـــن … لاخـــائهم خجـــلا ــ ذلـــولا
ان الكـــرام اذا تواخيهـــم … وجـــدت لهـــم فضـــولا
ودع الذى يعـــد العشـــيرة … ان يســـيل ولن يســـيلا
أبنى ان المـــــال ــ لا … يبكى اذا فقـــد البخيـــلا
وصـــل الكـــرام وكن لمـــن … ترجـــو مودته وصـــولا

ثم يدعو أقرانه الى منازلة الأعداء فى فروسية نادرة ، وشجاعة باهرة غير هيابين ولا وجلين مقتحمين فى جرأة معامع المعركة ، ان أحجم الأبطال وتأخر الشجعان :

واذا القـــروم تخـــاطرت … يوما وأرعدت الخصـــيلا[٢٢]
فاهصر كهصر الليـــــــث … خضب من فريســـته التليلا[٢٣]
وأنزل الى الهيجـــــا اذا … ابطـــالها كرهـــوا النزولا
واذا دعيت الى المهـــــم … فكـــن لفـــادحة حمـــولا

ولكن الدهر ذو غير ، ومن ذا يحكم على القـدر فلقد تعب هذا الفارس فى أخريات أيامه وأصابته أمراض الشيخوخة وأصبح شيخا هما[٢٤] يتوكأ على عصا ورأته ابنته أمامة قد نهض فسقط فقام متحاملا على العصا فبكت وقال :

جزعت أمامه أن مشيت على العصا … وتذكـــرت اذ نحن م الفتيـــان
فلقبـــل ما رام الاله بكيـــده … ارما وهذا الحى من عـــدوان
بعد الحكومة والفضـــيلة والنهى … طـــاف الزمان عليهـــم بأوان
وتفرقوا وتقطعت اشـــــلاؤهم … وتبددوا فـــرقا بكـــل مكـــان

(٢١) السم الثميل : الناقع .
(٢٢) الخصيل : جمع خصيلة وهى كل لحمة فيها عصب .
(٢٣) التليل : العنق .
(٢٤) هما : عجوزا متساقطا .

جـدب البلاد فأعقمت أرحامهم والدهر غيرهم من الحـدثان
حتى أبادهـم على أخراهـم صرعى بكل نقـيرة ومكـان
لا تعجبن أمـام من حدث عـرا فالدهر غـيرنا مع الأزمان[٢٥]

وأمامه هذه هى التى بكت قومها قائلة :

كم من فتى كانت له ميعـة[٢٦] أبلج مثـل القمر الزاهـر
قد مرت الخيـل بحـافاته كمـر غيث لجب ماطـر[٢٧]
قد لقيت فهم وعدوانهـا قتلا وهلكـا آخر الغـامر
كانوا ملوكا سـادة فى الذرى دهرا لها الفخر على الفـاخر
حتى تساقوا كأسـهم بينهم بغيا فيـا للشـارب الخاسر
بادوا فمن يحـل بأوطانـهم يحـل برسـم مقفر داثر

---

(٢٥) الأغانى ج ٣ ٩٥٤ — ٩٥٥ .
(٢٦) الميعة : أول الشباب وانشطه .
(٢٧) لجب ماطر ، لما فيه من قعقعة الرعد .

دريد بن الصمة

هو دريد بن الصمة الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة ودريد بن الصمة فارس شجاع وشاعر فحل ، وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان ، وقد كان أطول الفرسان الشعراء غزوا ، وأبعدهم أثرا ، وأكثرهم ظفرا ، وأيمنهم نقيبة عند العرب ، وأشعرهم ، وكان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم شجاعا مظفرا ، ميمون النقيبة ، وغزا نحو مائة غزاة ما اخفق فى واحدة منها ، وأدرك الاسلام فلم يسلم ، وخرج مع قومه يوم حنين مظاهرا للمشركين ، ولا فضل فيه للحرب ، وانما أخرجوه تيمنا به ، وليقتبسوا من رأيه ، فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته ، وخالفه لئلا يكون له ذكر ، فقتل دريد يومئذ على شركه .

وقد نشأ هذا الفارس فى أسرة شعرية ، فأبوه الصمة شاعر وهو الذى يقول فى حرب الفجار التى كانت بينهم وبين قريش :

لاقت قريش غـــداة العقـــو ق أمرا لها وجـــدته وبيـــلا
وجئنـــا اليهم كمـــوج الأتى[1] يعلو النجاد ويملا المســـيلا
وأمددت للحـــرب خيفـــانة[2] ورمحا طويلا وسيفا صـــقيلا
ومحكمـــة من دروع القيـــو ن تسمع للســـيف فيها صـــليلا

وكان أخوه مالك بن الصمة شاعرا أيضا وهو القائل يرثى أخاه خالدا :

أبنى عزية أن شملوا[3] ماجدا وسط البيوت السود مدفع كركر[4]
لاتســـقنى بيديك أن لم التعس بالخيـــل بين هبـــولة[5] فالقرقر

ولدريد اخـــوة / عبد الله هذا الذى قتلته غطفان ، وعبد يغوث قتله بنومرة ، وقيس قتله بنو أبى بكر بن كلاب وخالد قتله بنو الحارث

---

(١) الأتى : السيل لا يدرى من اين ياتى .
(٢) الخيفانة : الفرس .
(٣) الشلو (بالكسر) هنا : الجسد .
(٤) كركر : علم على عدة مواضع .
(٥) هبولة والقرقر : موضعان .

ابن كعب ، وأمهم جميعا ريحانة بنت معد يكرب الزبيدى أخت عمرو بن معد يكرب الفارس الشجاع وكان الصمة سباها ثم تزوجها فأولدها بنيه واياها يعنى أخوها عمرو بقوله :

أمن ريحانة الداعى السـميع   يؤرقنى وأصحابى هجوع
اذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه الى ما تستطيع

وكان لدريد أيضا بنت يقال لها عمرة وكانت شاعرة أيضا ولها فيه مراث كثيرة ، وكان له أيضا ابن يقال له سلمة وكان شاعرا وهو الذى رمى أبا عامر الأشعرى[٦] بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال :

ان تسألوا عنى فانى سلمه   ابن سمادير لمن توسمه[٧]
أضرب بالسيف رءوس المسلمة

وبرز دريد فى شعر الرثاء وأجاد فيه يقول أبو عمرو بن العلاء أحسن شعر قيل فى الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة حيث يقول :

تقول ألا تبكى أخاك وقد أرى   مكان البكا لكن بنيت على الصبر
لمقتل عبد الله والهالك الذى   على الشرف الأعلى قتيل أبى بكر
وعبد يغوث أو خليلى خالد   وعز مصابا حثو قبر على قبر[٨]
أبى القتل الا آل صمة انهم   أبوا غيره والقدر يأتى الى القدر
بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة   فما ينقضى الا ونحن على شطر

وهو أحسن شعر قيل فى المصيبة والرثاء ، ولعل الذى جعل شعره يحسن فى هذا الفن (فن الرثاء) فقده لاخوانه المذكورين ، ثم فقده لأبيه الصمة فقد قتلته بنو يربوع غدرا وأسروا ابن عم له . فغزاهم دريد ببنى نصر فأوقع ببنى يربوع وبنى سعد جميعا فقتل فيهم ، وكان فيمن قتل عمار بن كعب وقال دريد فى ذلك :

دعوت الحى نصرا فاستهلوا   بشبان ذوى كرم وشيب
على جرد كأمثال السعالى   ورجل مثل أهمية[٩] الكثيب

---

(٦) ابو عامر الأشعرى هو ابن عم أبى موسى الأشعرى .
(٧) سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة .
(٨) يقال حثوت عليه التراب احثوه حثوا ، وحثيته احثيه حثيا .
(٩) لعل الصواب أهيله جمع هيال وهو ما انهال من الرمال .

فما جبنوا ولكنـــا نصـــبنا ... صـــدور الشرعبيـــة[١٠] للقلوب
فكـــم غـــادرن من كلب صريع ... يمج نجيع جائفـــة[١١] ذنوب
وتلكـــم عـــادة لبنى رباب ... اذا مـــا كان مـــوت من قريب
فأجلوا والســـوام لنا مبـــاح ... وكل كريمـــة خـــو — عروب
وقـــد ترك ابن كعب فى مكـــز ... حبيبـــا بين ضـــبعان وذيب

وكما أجاد فى فن الرثاء والصبر على النوائب فقد حسن شعره فى فن الحكمة والمثل — وتمثل الناس بشعره ، فيروى أن عليا عليه السلام وكرم الله وجهه — لما اختلفت كلمة أصحابه فى أمر الحكمين ، وتفرقت الخوارج وقالوا له ارجع عن أمر الحكمين وتب واعترف بأنك كفرت اذ حكمت ، ولم يقبل ذلك منهم ، وخالفوه وفارقوه ، تمثل بقول دريد :

أمرتهـم أمـرى بمنعـرج اللوى
فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد

ويقول يونس : أفضل بيت يتمثل به فى الصبر على النوائب قوله :

قليل التشكى للمصـــيبات حافظ ... من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد

والبيت من قصيدة قالها فى أم معبد وكانت زوجته فطلقها لأنهـا رأته شديد الجزع على أخيه فعـــاتبته على ذلك وصغرت شـــأن أخيـه وسبته فألحقها بأهلها وقال فى ذلك :

أرث جديد الحبـل من أم معبد ... بعاقبة أم أخلفت كل موعـــد
وباتت ولم أحمد اليك جـوارها ... ولم ترج مناردة اليوم أوغـــد

فقالت له أم معبد بئس والله ما أثنيت على يا أبا قرة ، لقد أطعمتك مأدومى ، وبثثتك مكتـــومى ، وأتيتـــك باهـــلا غير ذات صرار[١١] وما استفرمت قبلك الا من حيض[١٢] .

---

(١٠) الشرعبيه : الطويلة يريد الرماح .
(١١) الجائفة : الطعنة التى تنفذ الى الجوف ، وذنوب طويلة الشر والأذى من قولهم « يوم ذنوب اذا كان طويل الشر انظر الأغـــانى ج ١٠ ص ٣٤٩١ طبعة دار الشعب تحقيق الابيارى .
(١٢) الباهل : الناقة لاصرار عليها . تريد انها اباحته لنفسها .
(*) واستفرمت المراة تضيقت بالفرم اى عالجت ذلك الموضع منها ليضيق والمراة تتعالج بحب الزبيب تضيق به متاعها .

هذا فضلا عن شعره الفروسى الذى يتسم بالجزالة والقوة ومتانة التراكيب ، وتتجلى فيه روح الشاعر المقدام ، وترى فى لفظه منه جسارة واقداماً ، وثبوتا للغارة التى يشنها على اعدائه ما بين الفينة والأخرى ولا سيما بعد مقتل والده الصمة واخوانه الأربعة عبد الله ، وعبد يغوث ، وقيس وخلد ، فقد قضى حياته يتربص باعدائه ادراكا للتأر ودرءا للعار والشنار الذى لحقا به فقد قال ابن الكلبى : قالت ريحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل أخيه يا بنى ان كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد ، فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيبا ، ولا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره ، فغزا غزاة وجاءها بذؤاب بن اسماء فقتله بفنائها ، وقال بلغت ما فى نفسك ؟ قالت نعم متعت بك ! ويقول فى ذلك :

جزينا بنى عبس جزاء موفرا
بمقتل عبد الله يوم الذنائب[١٣]

ولولا سواد الليل أدرك ركضنا
بذى الرمث[١٤] والأرطى عياض بن ناشب

قتلنا بعبد الله خير لداته
ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب

قال أبو عبيدة : أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصمة هذا فقال كاد دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء الى آدم ، فلما بلغ المنشد قوله :

ولولا سواد الليل أدرك ركضنا
بذى الرمث والأرطى عياض بن ناشب

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حتى يدركه

وقال دريد أيضا فى هذه الواقعة .

ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب ... منيته[١٥] أجرى اليها وأوضعا
فتى مثل متن السيف يهتز للندى ... كعالية الرمح الرديني أروعا

---

(١٣) الذنائب : يوم من ايام العرب المشهورة .
(١٤) ذو الرمث : موضع والرمث والأرطى نبتان .
(١٥) أجرى اليها : قصد اليها . انظر الأغانى ص ٣٤٧٧ ج ١٠ .

وكان قد أغار دريد بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه ، فتتبعهم حيا حيا ، وقتل من بنى عبس ساعدة بن مرة ، وأسر ذؤاب ابن اسماء ، وقتل من بنى نزارة رجلا يقال له حزام وأخوة له وأصاب جماعة من بنى مرة ومن بنى ثعلبة ابن سعد ومن أحياء غطفان وذلك فى يوم الغدير وفى هذا اليوم وفى من قتل فيه منهم يقول :

تأبد من أهله معشر ... فجو سويقه[١٦] فالأصغر
فجزع الحليف[١٧] الى واسط ... فذلك مبدى — وذا محضر
فأبلغ سليما وألفافها ... وقد يعطف النسب الأكبر
بأنى ثأرت باخوانكم ... وكنت كأنى بهم — مخفر[١٨]
صبحنا فزارة سمر القنا ... فمهلا فزارة • • لا تضجروا
وأبلغ لديك بنى مازن ... فكيف الوعيد — ولم تقرروا
فان تقتلوا فتية أفردوا ... أصابهم الجبن — أو تظفروا
فان حزاما لدى معرك ... واخوته حولهم — أنسر
ويوم يزيد بنى ناشب ... وقبل يزيدكم الأكبر
أثرنا صريخ بنى ناشب ... ورهط لقيط فلا تفخروا
تجز الضباع[١٩] بأوصالهم ... ويلقحن منهم — ولم يقبروا

وله غزل رقيق الأسلوب ، حسن الديباجة ولكنه قليل ، وله رائعة قالها يتغزل فى الخنساء ، وسبب قولها على ما يروى كتاب الأغانى أن دريد مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد وهى تهنأ[٢٠] بعيرا لها ، وقد تبذلت حتى فرغت منه ، ثم نضت ثيابها فاغتسلت ودريد بن الصمة يراها وهى لا تشعر به فأعجبته فانصرف الى رحله وأنشأ يقول :

---

(١٦) تأبد : اقفر ، ومعشر وجوسويقة والاصفر : اسماء مواضع .
(١٧) الجزع : منعطف الوادى ، والحليف وواسط : موضعان .
(١٨) اخفره : نقض عهده وغدره والهمزة فيه للازالة اى ازال خفارته كاشكاه اذا ازال شكواه .
(١٩) يشير الى ما هو معروف عن الضبع من انها اذا لقيت قتيلا بالعراء وورم وانتفخ غرموله فتركبه وتقضى حاجتها منه ثم تاكله (راجع نهاية الأرب) جـ ٩ ص ٢٧٤ طبع دار الكتب المصرية .
(٢٠) هنأ الابل يهنؤها طلاها بالهناء وهو ضرب من القطران انظر لسان العرب مادة هنأ الجزء السادس .

حيوا تماضر واربعوا صحبى ... وقفوا فان وقوفكم حسبى
أخناس قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تبل من الحب
ما ان رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالى اينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه ... يضع الهناء مواضع النقب(٢١)
متحسرا نضح الهناء به ... نضح البعير بربطة العصب(٢٢)
فسليهم عنى خناس اذا ... عض الجميع الخطب ماخطبى ؟

فلما أصبح غدا على أبيها(٢٣) فخطبها اليه ، فقال له أبوها : مرحبا بك يا أبا قرة ، انك للكريم لا يطعن فى حسبه ، والسيد لا يرد عن حاجته ، والفحل لا يقرع أنفه ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرك لها وهى فاعلة ثم دخل اليها وقال لها يا خنساء أتاك فارس هوازن ، وسيد بنى جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين ، فقالت يا أبت أترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح وناكحة شيخ جشم هامة اليوم أو غد(٢٤) . فخرج اليه أبوها فقال : يا أبا قرة قد امتنعت ولعلها أن تجيب فيما بعد وفى رواية انها قالت أنظرنى حتى أشاور نفسى ، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها : أنظرى دريدا اذا بال ، فان وجدت بوله قد خرق الأرض ففيه بقية ، وأن وجدت بوله قد ساح على وجهها فلا فضل فيه فاتبعته وليدتها ثم عادت اليها فقالت : وجدت بوله قد ساح على وجه الأرض فأمسكت . وعاود دريد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة ثم أنشأت تقول :

أتخطبنى هبلت على دريد ... وقد أطردت(٢٥) سيد آل بدر !
معاذ الله ينكحنى حبركى(٢٦) ... يقال أبوه من جشم بن بكر

---

(٢١) القطع المتفرقة من الجرب .
(٢٢) فى رواية العطب بالضم وبضمتين وهو القطن .
(٢٣) فى الأمالى ج ٢ ص ١٦١ طبعة دار الكتاب المصرية انه خطبها الى اخيها معاوية .
(٢٤) تريد انه اشرف على الموت .
(٢٥) اطردت : امرت بطرده .
(٢٦) الحبركى : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين والانثى منه حبركاة وقد ورد هذا البيت فى اللسان هكذا : —
ولست بمرضع ثديى حبركى ... قصير الشبر من جشم بن بكر

ولو أمسيت في جشنم هديا[٢٧] لقد أمسيت في دنس وفقر

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها :

وقاك الله يابنة آل عمرو من الفتيان أمثالي ونفسي
فلا تلدي ولا ينكحك مثلي اذا ما ليلة طرقت بنحس

الى أن يقول :

وتزعم أنني شيخ كبير وهل خبرتها أني ابن أمس
تريد شرنبث[٢٨] القدمين شثنا يبادر بالجدائر كل كرس
وما قصرت يدي عن عظم أمر أهم به ولا سهمي بنكس
وما أنا بالمزجي[٢٩] حين يسمو عظيم في الأمور ولا بوهس

وعمر دريد الى أن خرف وجعل له قومه بيتا مفردا من البيوت ووكلوا به أمه تخدمه ، فكانت اذا أرادت أن تبعد في حاجة قيدته بقيد الفرس ، فدخل اليه رجل من قومه فقال له كيف أنت يا دريد ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت أقذف أهداف المنون كما
يرمى الدريئة[٣٠] أدنى فوقه[٣١] الوتر
في منصف[٣٢] من مدى تسعين من مائة
كرمية الكاعب العذراء بالحجر
في منزل نازح و منتبذ
كمربط العير لا أدعى الى خبر
كأنني خرب[٣٣] قصت قوادمه
أو جثة من بغاث في يدى خصر

---

(٢٧) الهدي : العروس ، اى صار بعضه فوق بعض ، والجدائر جمع جديرة وهي الحظيرة .
(٢٨) الشرنبث : الغليظ والشثن ايضا والكرس ما تكرس .
(٢٩) المزجي : الناقص المروءة ، والوهس : الذليل .
(٣٠) الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامي .
(٣١) والفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٣٢) منصف الشيء : وسطه .
(٣٣) الخرب : ذكر الحبارى .

يمضــون أمرهـــم دونى وما فقـــدوا
منى عزيمـــة أمر ما خـــــلا كبرى
ونومة لســـت أتضـــيها وأن متعت(٣٤)
وما مضى قبل من شـــأوى ومن عمرى

وضعف جسم دريد حتى كان كلما هم واقفا ســقط ، وكان من المتوقع من زوجته أن تقف بجانبه وتواسيه عند ضعفه ، ولكنها قد عيرته بضعفه وشددت عليه النكير وقالت له « قد أسننت وضعف جسمك وقتل أهلك وفنى شبابك ولا مال لك ولا عدة ، فعلى أى شىء تعول ان طال بك العمر أو على أى شىء تخلف أهلك ان قتلت فقال دريد :

أعاذل انمـــا افنى شـــبابى ... ركوبى فى الصريخ الى المنـــادى
من الفتيان حتى كل جســـمى ... وأقرح عاتقى حمـــل النجـــاد
أعـــاذل انه مال طـــريف ... أحب الى من مال تـــــلاد
أعـــاذل عدتى بدنى ورمحى ... وكل مقلص ســـهل القيـــاد
ويبقى بعد حـــلم القوم حلمى ... ويفنى قبـــل زاد القـــوم زادى

وهكذا شأن النسوة ــ الا من عصم الله ــ وقليل ما هن ــ يحببن الرجل اذا ما كان فتيا صـــلب العود حتى اذا ما دبت اليه عوامل الوهن انصرفن عنه وأبدين له الجفاء والكراهية :
اذا شـــاب رأس المرء أو قل مـــاله
فليس له فى ودهـــن نصـــــيب

مـــوته :

خرج دريد مع قومه يوم حنين مظاهرا للمشركين ولا فضل فيه للحرب وانما أخرجوه تيمنا به وليقتبسوا من رأيه ، فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشـــورته ، وخالفه لئلا يكـــون له ذكر فظل دريد يومئذ على شركه ، فقتله ربيعة بن رفيع السلمى أحد بنى يربوع ، فأخذ بخطام جمله

(٣٤) متعت : طابت .

وهو يظن انه امرأة ، وذلك أنه كان فى شجار له[٣٥] فأناخ به فاذا هو برجل شـــيخ كبير ولم يعرفه الغلام فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلك قال ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع الســلمى فأنشــأ دريد يقول :

ويح ابن أكمـــه ماذا يريـــد   مـــن المرعش الذاهب الأدرد
فأقســـــم لو أن بى قـــوة   لولت فرائصـــــه ترعـــد
ويـــــا لهف نفسى الا تكسرن   معى قـــوة الشـــارخ الأمرد

ثم ضربه السلمى بسيفه فلم يغن شيئا فقال له بئس ما سلحتك أمك ! خذ ســـيفى هذا من مؤخر رحــلى فى القراب فاضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ ، فانى كذلك كنت أفعل بالرجال ثم اذا أتيت أمك فأخبرها انك قتلت دريد بن الصمة ، فرب يوم قد منعت فيه نساءك ! فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته بالســيف ســقط فانكشف ، فاذا عجانه[٣٦] وبطن فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراء[٣٧] ، فلما رجع ربيعة الى أمه أخبرها بقتله اياه ، فقالت له : لقد أعتق قتيلك ثلاثا من أمهاتك وقالت عرة بنته ترثيه :

قالوا اقتلنا دريدا قلت قدصدقوا   وظل دمعى على الخدين يبتدر[٣٨]
لولا الذى قهر الأقـــوام كلهم   رأت ســليم وكعب كيف تأتمر
اذا لصـــبحهم غبا وظاهرة[٣٩]   حيث استقر نواهم جعفل ذفر[٤٠]

---

(٣٥) شجار : هودج .
(٣٦) العجان : الدبر وقيل هو ما بين الدبر والقبل .
(٣٧) فرس عرى : غير مسرج وصف بالمصدر ثم جعل اسما فجمع فقيل خيل أعراء ولا يقال عريان كما لا يقال رجل عرى .
(٣٨) فى رواية ينحدر بدلا من يبتدر وفى سيرة ابن هشام فظل دمعى على السربال ينحدر .
(٣٩) من كلام العرب لأضربنك غب الحمار وظاهرة الفرس فغب الحمار أن يرعى يوما ويشرب يوما ، وظاهرة الفرس ان يشرب كل يوم نصف النهـــار .
(٤٠) الذفر : المتغير الرائحة — يقال كتيبة ذفراء اى انها سبكة من الحديد وصدئه اهـ .

عمــرو بن معــد يكرب

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد وهو منبه ، ويكنى أبا ثور • وأمه وأمهِ أخيه عبد الله : امرأة من جزم ، وهى معدودة من المنجبات ، ويقول أبو عبيدة عنه انه فارس اليمن ، وهو مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس وكان يقال له مائق بنى زبيد فبلغهم أن خثعم تريدهم فتأهبوا لهم •

سبب شــهرته :

وجمع معد يكــرب بنى زبيد ، فدخــل عمرو على أختــه ، فقال لو أشبعنى أبى غدا كفيته خثعم قال : فجاء معد يكرب ، فأخبرته ابنته ، فقال : هذا المائق ! قول ذاك ! قالت نعم،قال فسليه ما يشبعه ؟ فسألته ، فقال : فرق من ذرة ، وعنز رباعيــة • قال : وكان الفرق يومئذ ثلاثة أصوع : فصــنع له ذلك ، وذبح العنز وهيأ له الطعام • قال : فجلس فأكله جميعا وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ثم رفع رأسه فاذا لواء أبيه قائم فوضع رأسه ثم رفعه فاذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سرحة محرقة فتلقى اباه وقد انهزموا ، فقال : انزل عنها فاليوم ظلم[٢] فقال له : اليك اليوم يا مائق ! فقال له بنو زبيد : خله أيها الرجل وما يريد ، فان قتل كفيت مؤنته ، وان ظهر فهو لك ، فألقى اليه سلاحه فركب ، ثم رمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين اظهرهم ، ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا فقيل له يومئذ فارس زبيد[٣] •

وكان عمرو عظيم الخلقة مهاب الشخصية من أول وهلة • حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا نظر الى عمرو قال الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا تعجبا من عظم خلقه •

وروى صاحب كتاب الأغانى عن أحمد بن عبد العزيز الجوهرى

(١) المائق : الأحمق •
(٢) اليوم ظلم : أى حقا وهو شبيه بقولهم لاجرم ، يقوم مقام اليمين •
(٣) الأغانى جـ ١٥ ص ٥٥١٤ دار الشعب ١٩٧٠م •

قال حدثنا عمر بن شبه عن خالد بن خداش عن أبى نميلة قال أخبرنى رميح عن أبيه قال :

رأيت عمرو بن معد يكرب فى خلافة معاوية شيخا أعظم ما يكون من الرجال ، أجش الصوت ، اذا التفت التفت بجميع جسده (جـ ١٥ ص ٥٥٣ الأغانى) .

ولقد كان عمرو من أولئك الشعراء الفرسان الذين اشتهروا فى النصف الثانى من المائة السادسة قبل الاسلام وعرفت لهم المواقع والغارات أمثال عنترة ، وعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، والسليك ابن السلكة وزيد الخيل ، ودريد بن الصمة وسواهم ، وقد بارز عمرو الأربعة الأول فشهد لهم بالشجاعة فكان يقول : « ما ابالى من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقنى حراها أو عبداها » يعنى بالحرين عامرا وعتيبة ، وبالعبدين عنترة والسليك وقد تكون هذه الشهادة منحولة وضعتها العدنانية تعصبا لفرسانها الأربعة لأن عمرا كان قحطانيا يمانيا ، والتنافس قديم بين المعدية والقحطانية تلك رواية ينقلها الينا صاحب الأغانى عن محمد بن سلام وكلاهما مضرى عدنانى ، على أنه مهما يكن من أمرها ، فان أبا ثور معدود فى الطبقة الأولى من أبطال الجاهلية ، وقد يفضل على كثير منهم وكان أبوه معد يكرب من سادات بنى زبيد ومن الفرسان المعروفين عند العرب — وكان لا يتوسم — كما روى صاحب الأغانى — خيرا فى ولده عمرو فقد رأى فيه شابا لاهيا كثير الأكل منصرفا الى الأكل والشراب ، فلقبه بالمائق أى الأحمق الذى لا يصلح للسيادة ولا يرجى خيره — كما قدمنا — فكل همه أن يشفى نهمه بعنز رباعية كما رأيت أو جلسة طويلة الى مأدبة يتعاقب عليها الآكلون فقد خرج الى المدينة مرة فقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يغذى الناس عشرة بعد عشرة فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ، ولم يقم أبو ثور فأقعده مع عشرة آخرين ثم مع عشرة غيرهم فأكل مع ثلاثين حتى شبع فقام ثم جاء الى الخليفة فقال يا أمير المؤمنين « كانت لى مآكل فى الجاهلية منعنى عنها الاسلام ، ولقد صررت فى بطنى صرتين وتركت بينهما هواء فسده لى » فقال عمر : « عليك بحجارة من حجارة الحرة

فسده بها يا عمرو » ولكنه رغم ذلك أوتى شجاعة نادرة رافقته فى شبابه وشيخوخته قيل انه كان ابن مائة وست سنين أو مائة وعشر حين شهد القادسية (١٦ هـ ٦٣٧) وله بها أثره وبلاؤه المعروفان ، وقد أوفده سعد ابن أبى وقاص بعد فتح القادسية الى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسأله عن سعد ، فقال هو لهم كالأب ، أعرابى فى نمرته ، أسد فى تامورته[٤] يقسم بالسوية ، ويعدل فى القضية وينفر فى السرية ، وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة[٥] فقال عمر : وقد كان كتب اليه سعد يثنى على عمرو : لشد ما تقارضتما الثناء ، ثم سأله عمر عن الحرب ، فقال : مرة المذاق ، اذا قلصت عن ساق[٦] من صبر فيها عرف ، ومن ضعف عنها تلف وهى كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون فتية ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا استعرت وشب ضرامها ... عادت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت ... مكروهة للشم والتقبيل[٧]

ثم سأله عن السلاح فقال : الرمح أخوك ، وربما خانك ، والنبل منايا تخطىء وتصيب ، والترس هو المجن ، وعليه تدور الدوائر ، والدرع مشغلة للفارس ، متعبة للراجل ، وانها لحصن حصين ثم سأله عن السيف ، فقال : ثم قارعتك أمك عن الثكل ! قال عمر : بل أمك ! قال : الحمى أضرعتنى[٨] وعمرو أحد من يصدق عن نفسه فى شعره قال[٩] :

ولقد أجمع رجلى بها ... حذر الموت وانى لفرور
ولقد أعطفها كارهة ... حين للنفس من الموت هرير

---

(٤) التامور والتامورة : عرين الأسد وهما فى الأصل : الصومعة فاستعيرا للأسد.
(٥) الذرة : النملة الحمراء .
(٦) قلصت شمرت .
(٧) نسب البيت الأول لعمرو بن معد يكرب كما فى اللسان ٩ : ٤١٦ والباقى منهم لا يعرف قائله .
(٨) الضراعة : الذل والخضوع وهذا مثل يضرب عند الذل فى الحاجة تنزل مجمع الامثال ١ : ١٨١ — ١٨٢ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ٢٧٧ — ٢٧٨ .
(٩) الأبيات فى حماسة البحترى برقم ١٨٨ .

كل ما ذلك منى خـــــلق   وبكـل أنا فى الروع جـديد[١٠]

فأبو ثور مع شجاعته وفروسيته كان لا يورط نفسه فى المهالك اذا استصعب النجاة منها بل يفضل ان يركن الى الفرار فمذهبه فى القتال :

اذا لم تستطع شــيئا فدعه   وجـاوزه الى ما تسـتطيع

فهو لا يجد غضاضة من فراره فى يوم من الأيام ما دامت له مأثرة فى الأيام الماضـية قال عمرو : يخاطب أخته ريحـانه وقد فر من بنى عبس[١١] :

أجاعـلة أم الثـوير خــزاية   على فـرارى اذ لقيت بنى عبس

لقيت أبا شأس وشـاسا ومالكا   وقيسا فجاشت من لقائهم نفسي

لقونا فضموا جانبينا بصـادق   من الطعن مثل النار فى الحطب اليبس

ولما دخلنـا تحت فىء رماحهم   خبطت بكفى أطنب الأرض باللمس

وليس يعـاب المرء من جبن يومه   اذا عرفت منه الحماية بالأمس[١٢]

وكان عمرو يتحدث عن فراره كما يتحدث عن اقدامه لا يجد فى ذلك عيبا ومذمه ، ويظهر أن عمرا كان يقيس المخاطر بمقياس نفسه وشعورها بالخطر ، فهو فى اضـطراب مسـتمر بين الاقدام والاحجـام ، وهذا الاضطراب خلق مطبوع فيه ، وقد يكون اضطرابه هذا من الاسـباب التى جعلته يسلم ثم يرتد — فقد ارتد مع الأسود العبسى فسار اليه خالد بن سـعيد فقاتله ، فضربه خـالد على عاتقه فانهزم وأخذ خالد سـيفه ، فلما جاء الامداد من أبى بكر رضى الله عنه أسـلم ودخل على المهاجر ابن أبى أميه بغير أمان فأوثقه وبعث به الى أبى بكر فقال له أبو كر : أما تستحى أن تأتى فى يوم مهزوما مأسورا ؟! لو عزرت هذا الدين لأعزك ولرفعك الله ؟ قال لا جرم لأقبلن ولا أعود فاطلقه وعاد الى قومه

---

(١٠) أنظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨١ الطبعة الثالثة .
(١١) العقد الفريد ١٤٦/١ .
(١٢) الفروسية : نورى حمودى ص ٩٠ دار التضامن بغداد .

ثم عاد الى المدينة ، فبعثه أبو بكر رضى الله عنه الى الشــام فشــهد اليرموك(١٣) .

وله فى اليرموك بلاء حسن وقد ذهبت فيه أحدى عينيه ، ثم بعثه عمر الى العراق ، وله فى القادســية — كما مر — بلاء حسن وهو الذى ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزمت الأعاجم وكان سبب الفتح ومات سنة ٢١ هـ .

كيفية موته :

وفى كيفية موته خلاف : فقيل مات عطشا يوم القادسية وقيل قتل فيه ، وقيل بل مات فى وقعة نهاوند بعد الفتح وقيل غير ذلك وعمره يومئذ مائة وعشرون وقيــل مائة وخمســون ولم يذكــره الســجستانى فى المعمرين(*) .

---

(١٣) الشعر والشعراء وخزانة الأدب ٣٨٩ الجزء الثانى المطبعـة السلفية ١٣٤٨هـ .

(*) نفس المصــدر ص ٣٩٠ .

قيس بن عاصـــم

هو قيس بن عاصم بن ســـنان بن خـــالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس ، واسم مقاعس : الحارث بن عمرو بن كعب بن ســـعد بن زيد ابن مناة بن تميم ويكنى : أبا على • وأمه أم أصعر بنت خليطة بن جرول ابن منقر • وهو شـــاعر فارس شـجاع حليم كثير الغزوات ، مظفر فى غاراته أدرك الجاهلية والاســـلام فساد فيهما وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية ، وأســلم وحسن اســـلامه ، وأتى النبى ﷺ وصـــحبه فى حياته ، وعمر بعده زمانا وروى عنه عدة أحاديث وقد وفد قيس على رسول الله ﷺ فسأله بعض الأنصار عما يتحدث به عنه من الموءودات التى وأدهن من بنـــاته ، فأخبر أنه ما ولدت له بنت قط الا وأدها ، ثم أقبل على النبى ﷺ يحدثه فقال : كنت أخاف سوء الأحدوثه ، والفضيحة فى البنات ، فما ولدت لى بنت قط الا وأدتهـــا وما رمت منهن موءودة قط الابنية لى ولدتها أمها وأنا فى ســـفر ، فدفعتها أمها الى أخوالها فكانت بينهم ، وقدمت فســـألت عن الحمل ، فأخبرتنى المرأة أنها ولدت ولدا ميتا ، ومضت على ذلك ســـنون حتى كبرت الصـــبية ويفعت ، فزارت أمها ذات يوم ، فدخلت : فرأيتها وقد ضغرت شعرها وجعلت فى قرونها شيئا من خلوق ونظمت عليه ودعا وألبستها قـــلادة جزع[1] وجعلت فى عنقها مخنقة بلح[2] : فقلت من هـــذه الصبية ، فقد أعجبنى جمالها وكيسها ، فبكت ثم قالت : هذه ابنتك كنت خبرتك انى ولدت ولدا ميتا ، وجعلتها عند اخوالها حتى بلغت هذا المبلغ ، فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها ، ثم أخرجتها يوما فحفرت لها حفيرة فجعلتها فيها وهى تقول : يا أبت ما تصنع بى ؟ وجعلت اقذف عليها التراب وهى تقول : يا أبت : أمغطى أنت بالتراب ؟ ! أتاركنى أنت وحدى ومنصرف عنى ؟ وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتها وانقطع صوتها ، فما رحمت أحدا ممن واريته غيرها ! فدمعت عينا النبى ﷺ ثم قال : ان هذه لقسوة وان

---

(١) الجزع : بالفتح ويكسر : الخرز اليمانى فيه سواد وبيـــاض
(٢) المخنقة القلادة .

من لا يرحم لا يرحم وهذا يدل على غلظ قلب قيس بن عاصم وكنا ننتظر منه ــ وهو الشــاعر ــ ان يكون ذا قلب حــان ، وحس مرهف ، وحدب على أبنائه وبناته ــ ولكنها الأهــواء عمت فأعمت ــ فقد بلغ قيس من القسوة والفظاظة والتجرد من الحس المرهف ــ لدرجة أنه يدخل على رســول الله ﷺ فيرى فى حجره بعض بناته يشــمها فيقول له : ما هذه السخلة تشمها ؟ فيقول الرسول ﷺ هذه ابنتى ، فيقول قيس والله لقد ولد لى بنون ووأدت بنيات ما شممت منهن أنثى ولا ذكرا قط فقال رسول الله ﷺ فهل الا ينزع الله الرحمة من قلبك(٣) •

وهو أول من وأد البنات من العرب واقتدت به العرب فى ذلك فكل كل سيد تولد له بنت يئدها خوفا من الفضيحة •

ويروون من أسباب وأده لبناته : أن المشمرج اليشكرى أغار على بنى سعد فسبى منهم نساء واستاق أموالا ، وكان فى النســاء امرأة ، خالها قيس بن عاصم ، وهى دميم بنت أحمر بن جندل السعدى يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها ، فوجد عمرو بن المشمرج ، قد اصطفاها لنفسه فسأله فيها ، فقال قد جعلت امرها اليها فان اختارتك فخذها فخيرت ، فاختارت عمرو بن المشمرج ، فانصرف قيس فوأد كل بنت وجعــل ذلك سنة فى كل بنت تولد له •

ونخلص من هذا أن شاعرنا قيس بن عاصم قد اجتمعت فيه فضائل الجاهلية وعيوبها فمن فضائله انه شاعر خطيب ، وفارس شجاع ، سيد قبيلته ، كريم مضياف ــ حليم وقور ، ومن عيوبه هذه القســوة التى رأينــاها فيه ، وتلك الكبرياء البدوية التى حملتــه على وأد بنــاته صونا ــ كما يزعم ــ لشرفه ، وحفاظا لكرامته •

فاذا كان قيس فى قبليته ســيدا حليما فانه فى أهــله والد قاسى الفؤاد ، متصلب العاطفة ، لا يقرع احساسه غير حرمة الشرف والسيادة ولكن هذا السيد المقدام الحليم كان عبدا لشهوته تسطو عليه فيلطخ بها

---

(٣) الاغانى ٤٩٤٥ الجزء ١٤ دار الشعب تحقيق ابراهيم الابيارى •

فروسيته ونجدته ، ويلطخ بها سيادته وشرفه فقد أنقذ النرقاء[٤] من الحوفزان البكرى — الا أنه لم يمنع نفسه عندما رأى جمالا فاستسلم الى شهوته معها ثم ردها الى أهلها فكان عمله محموداً ومذموما فى وقت واحد ، وشرب يوما حتى غلبه السكر ، وبقربه ابنته ، فتناول ثوبها وجذبها اليه ، وهو يغمغم ولا يفصح ، وقد ساورته الحيوانية ، فلما صحا اخبرته بما صنع ، فاغتاظ من نفسه ، وساءه أن يمزق شرفه بيده ، فأقسم الا يذوق الخمر طوال حياته وبر قيس بقسمه فما شرب الخمر بعدها وفى ذلك يقول :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا ... ولا أسقى بها أبدا سقيما
ولا أعطى بها ثمنا حياتى ... ولا أدعو لها أبدا نديما

كان قيس يأخذ من فضائل السيادة افضلها وانبلها ، وكان فيه من معايب الجاهلية أفظعها وأخسها ، على أن أبناء عصره لم ينكروا عليه هذه الهنات لأن بعضها مألوف عندهم فى عصره الجاهلى كالوأد ومواقعة السبية الزرقاء ، وبعضها الآخر يتأولون له عذرا فيه بسكره وضياع عقله ثم بتحريمه الخمر على نفسه فيضرب قيس فى التاريخ العربى مثلا أعلى للسيد الكريم والفارس النجيب يتشبهون به ، ويمجدون ذكره وما احسن قول عبده بن الطبيب فيه راثيا :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما
وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

وهذا الشاعر لم يخلص الينا من شعره الا القليل ولكنه على قلته ظاهر الجودة ، فيه سلاسة وانسجام يصور فضائل صاحبه أبلغ تصوير ويدور حول الفخر بنفسه وقبيلته ، فأخلاقه لا يعتريها دنس ولا عيب ، وقومه فى بيت مكرمه ، خطباء وفصحاء بيض الوجوه ، لا ينظرون لعيب جارهم وانما يحافظون على جواره :

انى امرؤ لا يعترى خلقى ... دنس يفنده ولا أفن

---

(٤) الفروسية : نورى حمودى القيسى ص ٩٠ دار التضامن بغداد .

من منقــر فى بيت مكـــرمة والغصـــن ينبت حوله الغصـــن
خطبـــاء حين يصـــوم قائلهم بيض الوجوه مصـــاقع لســـن
لا يفطنـــون لعيب جــــارهم وهم لحفظ جوارهــــم فطـــن

ويخاطب زوجه فيوصيها اذا صنعت له الطعام ان تطلب ضيفا يشـــاركه فيه لأنه لا يريد أن يأكل وحده مخـــافة أن تتحدث الناس عنه بالبخل بعد موته :

أيا ابنـــــة عبد الله وابنـــــة مالك
ويا ابنـــة ذى البردين والفـــرس الورد
اذا ما صـــــــنعت الزاد فالتمسى له
أكيلا فانى لســـت آكـــله وحـــدى
أخـــا طـــارقا ، أو جـــار بيت فاننى
أخـــاف ملامات الاحـــــاديث من بعدى
وانى لعبـــد الضـــيف من غـــير ذلـــة
وما بى الا تلك من شـــيمة العبـــد

ولما حضرته الوفاة وصى أبناءه فقال :

يا بنى اذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صـغاركم فيسفه الناس كباركم ، وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، واذا مت فادفنونى فى ثيابى التى كنت اصلى فيها وأصوم ، واياكم والمسألة فانها آخر مكاسب العبد ، وان امرأ لم يسأل فقد ترك مكسبه ، واذا دفنتمونى فأخفوا قبرى عن هذا الحى من بكر بن وائل ، فقد كان بيننا خماشات(٥) فى الجاهلية ثم جمع ثمانين سهما ، ثم قال : اكسروها سهما سهما فلم يستطيعوا ، ثم قال فرقوا ، ففرقوا ، فقال اكسروها سهما ســهما ، فكسروها ، فقال هكذا انتم فى الاجتماع وفى الفرقة ثم قال :

---

(٥) الخماشات : الجنايات .

انما المجد ما بنى والد الصـــــد ... ق وأحيـــا فعـــاله المولود
وتمام الفضل الشـــجاعة والحلم ... اذا زانه عفـــاف وجـــود
وثلاثـــــون يا بنى اذا مـــا ... جمعتهم فى النـــائبات العهـود
كثـــلاثين من قـــداح اذا ما ... شـــدها للزمان عقد شـــديد
لم تكسر وان تفـــــرقت الأ ... سهم أودى بحجمها ـ التسديد
وذوو الحـــلم والأكابر أولى ... أن يرى منكم لهم تســـويد
وعليكم حفظ الأصـــاغر حتى ... يبلغ الحنث الاصـــغر المجهود

أهم المراجع والمصادر :

١ ــ لسان العرب — دار المعارف — القاهرة

٢ ــ تاج العروس فى شرح القاموس — دار المعارف — القاهرة

٣ ــ خزانة الأدب للبغدادى — المطبعة السلفية — القاهرة

٤ ــ شرح الحماسة للمرزوقى — لجنة التأليف والنشر — القاهرة

٥ ــ شرح الحماسة للتبريزى — بيروت

٦ ــ مجمع الأمثال — للميدانى — بيروت

٧ ــ الشعر والشعراء — لابن قتيبة — بيروت

٨ ــ الأمالى لأبى على القالى — بيروت

٩ ــ الكامل للمبرد — بيروت

١٠ ــ الأغانى — دار الثقافة — بيروت

١١ ــ مختار الأغانى — المؤسسة المصرية العامة — القاهرة

١٢ ــ الشعراء السود — دكتور عبده بدوى — الهيئة المصرية

١٣ ــ فيض الخاطر — دكتور أحمد أمين — بيروت

١٤ ــ شرح ديوان عنترة — للأعلم — بيروت

١٥ ــ الفروسية — نورى حمودى — بغداد

١٦ ــ مختار الشعر الجاهلى — للأعلم — بوت

١٧ ــ حماسة ابن الشجرى — بيروت

١٨ ــ حماسة أبى تمام — بيروت

١٩ ــ الشعراء الفرسان — بطرس بستانى — بيروت

٢٠ ــ الأعلام — خير الدين الزركلى — بيروت

٢١ ــ العمدة — بوت

٢٢ ــ تاريخ آداب اللغة العربية — جرجى زيدان — دار الهلال القاهرة

٢٣ — مصادر الشعر الجاهلى ناصر الدين الأسد دار المعارف

٢٤ — البداية والنهاية بيروت

٢٥ — معجم الأدباء بيروت

٢٦ — حماسة البحترى بيروت

٢٧ — أيام العرب بيروت

٢٨ — بلوغ الأرب بيروت

٢٩ — نهاية الأرب بيروت

٣٠ — سمط اللآلى بيروت

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول :	
تعريف بالشعراء الشجعان فى الجاهلية	٩
الفصل الثانى :	
الشعراء الشجعان من السوقة والصعاليك والعبيد	١٩
الشنفرى (عمرو بن مالك) الأزدى	٢١
الحارث بن ظالم ٦٠٠م	٢٧
عروة بن الورد	٣٢
تأبط شرا	٣٩
السليك بن السلكة	٤٧
عنترة بن شداد العبسى	٥١
الفصل الثالث :	
الشعراء الشجعان من الكرماء والأشراف	٥٩
حاتم الطائى	٦١
عمرو بن كلثوم	٦٦
المهلهل بن ربيعة	٧١
عامر بن الطفيل	٧٥
ربيعة بن مكدم	٧٨
زيد الخيل الطائى	٨١
ذو الأصبع العدوانى	٨٥
دريد بن الصمة	٩٢
عمرو بن معد يكرب	١٠١
قيس بن عاصم	١٠٦
أهم المراجع والمصادر	١١١

رقم الايداع ١٩٨٧/٤١٩٤

